وزارة التعليم العـــالي والبـــحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التـــاريخ

محاضرات في مقياس
ما قبل التاريخ الشمال الإفريقي

مذكـــرة بيداغـــوجية مـــوجهة لطلبـــة السنة الثالثة
السداسي السادس

إعداد الأستاذ: سليم سعيدي

الموسم الجامعي
2021-2020

فهرس المحاضرات

1- مدخل عام

2- الحضارة الألدوانية

3- الحضارة الأشولية

4- إنسان الأطلس

5- الحضارة الموستيرية

6- الحضارة العاترية

7- إنسان أرحود-إنسان دار السلطان

8- الحضارة الإيبرومغربية (الوهرانية)

9- الحضارة القفصية

10- الإنسان العاقل المغربي (مشتى العربي- مشتى أفالو)

11- الإنسان فجر المتوسطي

12- حضارات العصر الحجري الحديث

13- الفن الصخري الصحراوي

14- الحياة الاقتصادية في منطقة الصحراء والأطلس الصحراوي

15- الحياة الاجتماعية في منطقة الصحراء والأطلس الصحراوي

مقدمــة:

تعتبر منطقة شمال إفريقيا والصحراء من أقدم المناطق في العالم التي عرفت تعميرا بشريا خلال عصور ما قبل التاريخ، إذ كانت مسرحا هاما لنشأة عدة حضارات، نتيجة لتفاعل الإنسان المغاربي القديم مع بيئته بدءا من العصر الحجري القديم الأسفل إلى غاية فجر التاريخ وانبثاق الكتابة ونهاية هذا العصر الطويل الذي يُشكّل حوالي 99% من حياة البشرية، مستغلا مواردها من صخور وأشجار، ومعتمدا على صيد الطرائد وقنص الأسماك والحيوانات البحرية، ليتطور ويتمكّن خلال العصر الحجري الحديث من تدجين بعض الحيوانات واستئناس بعض النباتات، وصنع أدواته من الطين (الأواني الفخارية) بعد أن كانت من الحجر فقط. ليعرف حياة الاستقرار بدل التنقل من مكان إلى آخر بحثا عن ما يسد رمقه، وقد انعكس هذا على حياته الروحية والفكرية من خلال تجسيده لمعبوداته في أشكال معينة، وفي الرسم والنقش على الصخور.

وسنحاول في هذه المذكرة التعريف بأهم حضارات عصور ما قبل التاريخ التي تميزت بها منطقة الشمال الإفريقي، والوقوف على مميزاتها وأهم مواقع انتشارها، ورصد أصولها المحلية أو الأجنبية، وكذلك محاولة التعرّف على الإنسان وتحديد نوعه صاحب أي حضارة من تلك الحضارات ومعرفة مميزاته الفيزيولوجية، ومدى علاقة كل نوع بمن سبقه وبمن جاء بعده، بمعنى هل تشكّل تلك الأنواع الإنسانية سلسلة مترابطة ذات أصل واحد أم أنها متعددة الأصول؟ وقادمة من مناطق آخرى؟

وللإجابة على تلك التساؤلات اعتمدت على مجموعة المصادر والمراجع التاريخية والأثرية المتنوعة، والمذكورة في آخر هذا العمل، غير هناك إشكالية تعترض أي باحث في تخصص عصور ما قبل التاريخ، ألا وهي صعوبة الحصول على آخر الأبحاث العلمية المرتبطة بالحفريات الأثرية الحديثة، وأخر التحاليل المخبرية الجديدة التي كثيرا ما تدحض ما سبقها من دراسات، أو على الأقل تعدّل فيها، وبالتالي لا مناص من متابعة كل ما يُنشر في هذا ميدان ما قبل التاريخ، والذي يعتبر تخصصا أقرب للعلوم التجريبية منه للتاريخ. كما أن علم ما قبل التاريخ دوما ينتظر بما يجود به علم الآثار، مادامت معاول الآثاريين تبحث عن الجديد.

كما تعترض أي باحث في عصور التاريخ مشكلة ترجمة بعض المصطلحات إلى اللغة العربية، حتى وإن ترجمت تبقى من الصعب معرفة كنهها الحقيقي، خاصة تلك المتعلقة بأجزاء جسم الإنسان، أو ببعض الصناعات الحجرية التي هي من صميم المختصين علماء البيولوجيا، وبالمختصين في علم آثار ما قبل التاريخ. ولهذا سنحاول تذليل الصعوبات بالتبسيط ومحاولة التحكم في المصطلحات المرتبطة بهذا العلم.

المحاضرة (1): مدخل مفاهيمي

أولا: مفهوم ما قبل التاريخ:

اتفق العلماء على إطلاق تعبير ما قبل التاريخ على العصر السابق لمعرفة الإنسان للكتابة، أي السابق لبدء تسجيل الإنسان لأعماله وأرائه في سجلات مكتوبة، سواء كانت نقشا على الحجر أو اللبن أو البردي ... فمنذ ذلك الحين تركت لتلك السجلات مهمة رواية قصة الإنسان، أما قبل هذا فعصر طويل ليس لدينا عنه أي سجل مكتوب، بل آثار أخرى صامتة، ولكنها في نظر الكثير من العلماء أكثر إفصاحا من المكتوب، لأنها لا تتعرض للزيف المتعمد من الإنسان أحيانا في تاريخه المكتوب[1].

ويمكن تعريف علم ما قبل التاريخ بأنه ذلك العلم الذي يبحث في أصل وتطور حضارات الإنسان قبل معرفته للكتابة، وتتمثل مخلفاته الحضارية في بقايا مادية أثرية كالأدوات الحجرية والعظمية ورسومات ونقوش جدارية، ودراسة هذه المخلفات من شأنها أن تسمح لنا بإعادة تصوير وتصميم الحياة اليومية لمجتمعات ما قبل التاريخ في بيئة وزمن معينين[2].

ولقد ظهر مصطلح ما قبل التاريخ لأول مرة باللغة الفرنسية (préhistoire) سنة 1833 حين استخدمها تورنال (M. Tournal) أمين متحف ناربون في مقال نشره في مجلة: (Annales de chimie et de physique)، وظهر هذا المصطلح في اللغة الانجليزية (Prehistoric)، سنة 1851 من طرف دانيال ولسون (D. Wilson) في كتابه المعنون بـ (the archeology and prehistoric annales of Scotland)، ولا ندري متى ظهرت العبارة العربية لأول مرة، غير أنها ترجمة موفقة إلى حد بعيد، ويتردد هذا المصطلح في الأدبيات الأثرية دون خلاف على مدلولها[3].

وقد نشأ علم ما قبل التاريخ في أوربا وبالأخص في فرنسا، وهذا ما يفسّر أن كل أو جل مصطلحات هذا العلم تحمل أسماء فرنسية، مثل الحضارة الأشولية نسبة إلى موقع سانت أشول (Saint Acheul)، والحضارة الموستيرية نسبة لموقع موستييه (Le Moustiers) والحضارة الأبفيلية نسبة لمنطقة أبفيل (Abbeville) شمال باريس[4].

---

[1] - محمد السيد غلاب ويسري الجوهري، الجغرافيا التاريخية عصر ما قبل التاريخ وفجره، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975، ص19.

[2] - محمد سحنوني، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص3.

[3] – عباس سيد أحمد محمد علي، الجذور التاريخية لإشكالية المصطلح الأثاري حالة ما قبل التاريخ، مجلة أدوماتو، العدد الثاني، جويلية 2000، الرياض، ص71.

[4] – قراقب عبد الرزاق، مطيمط علي، حضارات ما قبل التاريخ (تونس والبلدان المغاربية)، ط2، منشورات أليف، تونس، 1993، ص ص9-10.

وإذا كنا نعرف متى ينتهي هذا العصر أي متى يبدأ التاريخ المكتوب، إلا نجهل متى يبدأ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن عصر ما قبل التاريخ لم ينته في جميع أنحاء العالم في وقت واحد. فالشعوب المختلفة تتفاوت في الوقت الذي بدأت تعلم الكتابة وتسجيل تاريخها، فمصر والعراق عرفتا الكتابة منذ عصر مبكر جدا، حوالي نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد، بينما لم تعرف الكتابة في كريت إلا في منتصف الألف الثانية ق.م، وفي مناطق أخرى عُرفت الكتابة في تواريخ لاحقة بعد ذلك. بل لا تزال بعض الشعوب تعيش عصور ما قبل التاريخ ولم تدخل المرحلة التاريخية حتى العصر الحاضر، مثل الشعوب الاسترالية وقبائل البوشمن في جنوب إفريقيا[1].

هذا عن نهاية عصر ما قبل التاريخ، فماذا عن بدايته؟

إن هذه البداية لا تزال في عالم الغيب ولكننا كي نصل إلى حل لهذه المسألة ينبغي أن ندرك أننا بصدد تاريخ الإنسانية، سواء كان غير مكتوب (عصر ما قبل التاريخ) أو مكتوبا. ومن ثم فمقياسنا هو الإنسان نفسه، فعصر ما قبل التاريخ يبدأ بظهور الإنسان نفسه، ومن هنا تقابلنا صعوبة تحديد هذا الإنسان، فهل تعني به الإنسان الحالي أي النوع العاقل (Sapiens homo) أم الأنواع البائدة الأخرى كالبشر الجنوبي والإنسان الماهر والإنسان المنتصب القامة؟

يمكن أن تبدأ مادام هناك حضارة وبالتالي لا بد من العودة لصاحبها الذي أنجزها، فإذا كان هؤلاء أشباه بشر وصنعوا حضارة فهم بشر أسوياء، وتعريف الإنسان وظيفي قبل كل شيء، وأهم مظاهر هذه الوظيفة أنه صانع (Homo Faber). ونشير هنا أن عصر ما قبل التاريخ بدأ في عصر البلايستوسين وعصر الهولوسين أي خلال الزمن الجيولوجي الرابع، حيث بدأت الأشكال الإنسانية الأولى[2].

ثانيا: العلوم المساعدة:

بما أن الإنسان لم يعرف الكتابة بعد في هذا العصر، بالتالي نعتمد في دراستنا على البقايا والآثار الطبيعية والبشرية المطمورة في رواسب الصخور والرمال. ومن العلوم المساعدة في دراسة هذا العصر كعلم الباليونتولوجيا الحيوان حيث نتعرف من خلاله على الحيوانات التي اقتنصها الإنسان واستهلكها في محيطه، وأن ظهور فصيلة ما أو انقراضها له أهمية كبيرة في تحديد التغيرات المناخية التي حدثت، كما أن معرفة المناخ القديم تمكننا من معرفة نباتات ما قبل التاريخ، كما نستعين بعلم الباليونولوجيا لمعرفة

[1]- محمد السيد غلاب ويسري الجوهري، المرجع السابق، ص19.

[2] - المرجع نفسه، ص20.

النباتات المتحجرة، أما علم الباليوبوتانيك فمجاله تحديد أصناف النباتات انطلاقا من الفحم الخشبي الذي يُعثر عليه[1].

كما نستعين بعلم الجيولوجيا، فحتى عصر قريب كان عصر ما قبل التاريخ أحد فروع جيولوجية الزمن الرابع أو جيولوجية عصر البلايستوسين، وأيضا على الأنثروبولوجيا التي تدرس تطور الإنسان من القردة العليا، والأجناس البشرية البائدة التي عاشت في عصور ما قبل التاريخ، كما أن علم الأنثروبولجيا يساعد الباحثين على مقارنة بعض أساليب الحياة لبعض الجماعات التي تعيش في الوقت الحاضر بالجماعات التي كانت تعيش في العصور الحجرية، حتى يمكن أن نأخذ صورة واضحة عن حياتها الحضارية، وبعبارة أحرى أن دراسة المجتمعات البدائية تلقى ضوءا على إنسان ما قبل التاريخ وأسلوب حياته. ومن العلوم الأخرى التي يستعان بها في مجال دراسة ما قبل التاريخ علم تتابع الطبقات (Stratigraphie)، والحفريات القديمة (Paléontologie)، وغيرها من العلوم التي تساعد على تفهم المسرح الجغرافي الذي نشأ فيه الإنسان أي عصر البلايستوسين، ومن العلوم المساعدة الأخرى، علم المناخ القديم (Paléoclimatologie)[2].

كما يستعين علم ما قبل التاريخ بعلم التشريح المقارن والبيولوجيا الإنسانية لدراسة البقايا المادية للهياكل والعظام، وكذلك بعلم الأنثروبولوجيا لمعرفة ثقافات وعادات مجتمعات ما قبل التاريخ عن طريق دراسة عادات المجتمعات البدائية ومن خلال الاسقاط يمكن معرفة تقاليد شعوب ما قبل التاريخ، كما يستعين علم ما قبل التاريخ بعلم الجيولوجيا حتى يحدد العصر الجيولوجي لآثار وحفريات ما قبل التاريخ التي عثر عليها[3].

ثالثا: وسائل تأريخ عصور ما قبل التاريخ:

يختلف تقدير الفترات ما قبل تاريخية عن الفترات التاريخية لانعدام الكتابة، ومن هنا لجأ المختصون الظواهر الطبيعية لمعرفة عمرها، ومن هنا نشأ علم يبحث في وسائل تقويم أو تأريخ الأرض، وسنحاول ذكر بعض الوسائل المستعملة، ومنها:

1_ طريقة تحليل حلقات الأشجار الضخمة: وتُعرف هذه الطريقة أيضا باسم التقويم النباتي (Dendrochronologie) وتتلخص هذه الطريقة في أنه لما كان النبات يعتمد في نموه على كمية المياه

---

[1]– براهيمي كلود، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، تر: محمد البشير شنيتي، بورويبة رشيد، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982، ص12.

[2] - محمد السيد غلاب ويسري الجوهري، ص ص20 –22.

[3]–قباري محمد إسماعيل،أصول الأنثروبولوجيا العامة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1980، ص ص20–21.

وأشعة الشمس ونوع التربة التي ينمو فيها ، فقد لوحظ أن مراحل هذا النمو تظهر في شكل دوائر أو حلقات في داخل جذوع الأشجار، ويتضح ذلك في القطاع الأفقي لها، وتتفاوت المسافات بين هذه الحلقات على مدى تأثّر الأشجار بالظروف الطبيعية التي تساعد على النمو وخاصة كمية الأمطار[1].

2- طريقة تحليل رقائق الطمي الجليدي: تتلخص هذه الطريقة في أن الثلاجات ترسّب ما تحمله من طمي وطين عندما تذوب، وقد استغرقت الثلاجات وقتا طويلا وهي تنحسر وتتقهقر عن شمال أوربا. بعد أن بدأت درجة الحرارة في الارتفاع، والجليد كما نعرف جسم ضخم يحمل في ثناياه كميات كبيرة من الطين والطمي والحصى الصغير، وعندما يذوب تترسب هذه الشوائب على شكل رقائق من الطمي الجليدي. غير أن سرعة ذوبان الجليد تختلف من عام لآخر حسب معدل درجة الجرارة، كما أنها تختلف في العام الواحد صيفا أو شتاء، ففي الصيف تترسب طبقة سميكة، وفي الشتاء طبقة رقيقة. وتتلخص في أحذ قطاع كامل من الرقائق ابتداء من الصخر الأصلي الذي أرسبت فوقه حتى السطح، وحسب بدقة عدد هذه الرقائق، وهكذا يمكن تأريخ الفترة التي تلت عصر الجليد مباشرة، أو عصر تقهقر الجليد[2].

3- اختبار الفلورين: لقد أثبت هذا الاختبار أهميته في تحديد الأعمار أكثر من الطرق الأخرى، فالعظام تمتص الفلورين من الماء بمعدل ثابت، وكلما كانت العظام بالغة القدم ازداد الفلورين الموجود فيها، أما العظام الحديثة، فإنها تحتوي على كميات ضئيلة[3].

4- اليورانيوم\ طورايوم: تستخدم هذه الطريقة في المواقع الأقدم التي لا تصلح فيها طريقة الفحم المشع، ومبدؤها مشابه وتقوم على قياس زمن تحلل اليورانيوم المشع (U234) إلى طورنيوم عادي (TH230) ويُطبق في المواقع التي يصل عمرها إلى 350 ألف سنة تقريبا[4].

5- طريقة التحليل الكربوني: استعملت سنة 1947 تعتمد هذه الطريقة على حقائق كيميائية معينة تتعلق بالأشعة الكونية وتكوين ذرات الكربون المشع ذات الوزن 14 وهي نظائر مشعة للكربون المعتاد غير المشع ذي الرقم 6 والوزن 12، فذرات الكربون 14 التي تكونت في غلافنا الجوي تتحد بالأكسجين الموجود به معطية غاز ثاني أكسيد الكربون الذي ينساب هابطا إلى سطح الأرض. ويدخل ثاني أكسيد الكربون في دورة حياة كافة النباتات الخضراء. وتأتي الحيوانات لتلتهم النبات فتأخذ الكربون 14 في أجسامها. ونحن البشر نأخذ بدورنا هذا الكربون حين نتغذى بالنبات أو الحيوان، وعلى ذلك فكل مادة

---

[1]-الناضوري رشيد، جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، الكتاب الأول، دار النهضة العربية، بيروت، 1969، ص ص95-98.

[2] - محمد السيد غلاب ويسري الجوهري، ص35.

[3] – سميحة إبراهيم مسعود، قراءة في حضارات الإنسان القديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2018، ص72.

[4] – عزيز طارق ساحد، الجزائر عبر عصور ما قبل التاريخ، شكة الأصالة للنشر، الجزائر، 2020، ص99.

عضوية وكل شيء حي لابد أن يمتص الكربون 14. وعند موت الكائن الحي يتوقف دخول الكربون 14 إلى جسمه. ويبدأ الكربون المشع الموجود فعلا في جسمه يتفكك إشعاعا ويصدر إشعاعه إلى الخارج، ويستطيع العلماء قياس الكمية التي تفككت منه والكنية التي بقيت دون تفكك في الجسم، ويستطيع العلماء الآن تقدير الأشياء العضوية خلال 40 ألف سنة الماضية مع ضرورة وضع احتمال الخطأ في حدود معقولة[1].

6- طريقة الطبقات: وتتعلق بدراسة الطبقات المختلفة في التلال والأكوام والكهوف التي كان يسكنها الإنسان، وقد تكوّنت هذه الطبقات كنتيجة طبيعية لسكنى الإنسان في منطقة ما، ومغادرته لذلك المكان، وبعد فترة زمنية تصل لقرون تقطن المكان مجموعة بشرية أخرى ثم تركها له، ومجيء مجموعة بشرية ثالثة، مما أدى إلى تكوين طبقات فوق بعضها، كل طبقة تمثل مرحلة معينة، فيقوم علماء الآثار بدراسة بقايا كل طبقة، ودراسة سمك كل طبقة أي مدى مكوث الإنسان فيها، آخذين في عين الاعتبار مختلف العوامل البيئية والسياسية والدينية التي يمكن أن تكون قد أثرت في عملية استقرارهم أو رحيلهم عن ذلك المكان، وهذه الدراسة تساعد على التعرف ولو بصورة نسبية على عمر تلك الحضارة[2].

7- الطريقة البيوكيميائية: هي من الطرق المعقدة والدقيقة، وهي تطبق على البقايا العظمية الأثرية، لأن العظام تحتوي على مواد بروتينية متكونة من الحموض الأمينية، هي إما من نوع مياسر (Levogyres) أي أنها تدير خط استقطاب الضوء نحو اليسار، أو من نوع ميامن (Dextrogyres) أي تدير خط استقطاب الضوء نحو اليمين، لكن معظم الحموضة الأمينية في الكائنات الحية هي مياسرة ثم بعد الموت تلك الكائنات تبدأ هذه الحموض بالتحول إلى أنواع ميامنة، ويجري هذا التحول وفق مدة زمنية محددة يمكن قياسها، وبالتالي تحديد الزمن الذي مر على موت الجسم الحي. ولقد استخدمت هذه الطريقة كثيرا في أوربا لتأريخ هياكل عظمية تعود للعصر الحجري القديم الأسفل والأوسط، وهي عموما تغطي الزمن الذي يتصل بين حدود تطبيق طريقة الفحم المشع وطريقة البوتاسيوم\أرغون، أي ما بين 500 و50 ألف سنة[3].

[1] - محمد السيد غلاب ويسري الجوهري، المرجع السابق، ص36.

[2] - الناضوري رشيد، المرجع السابق، ص95.

[3] - عزيز طارق ساحد، الجزائر، ص101.

المحاضرة (2): الحضارة الألدوانية

تمهيد: تنسب هذه الحضارة لموقع ألدوفاي الشهير الواقع جنوبي بحيرة فيكتوريا بشمال تنزانيا، وكان هذا الموقع محل حفريات منظمة منذ العشرينات قام بها عالم الآثار لويس ليكي وواصلتها زوجته في السبعينيات من القرن الماضي، وولداه من بعده، وتُوّجت بعدد هام الاكتشافات تتعلق بأدوات حجرية ومستحثات وحيوانية بشرية عرفت بالأسترالوبتكوس بوازي (*Australopithecus boisei/aethiopicus*)، وهومو هابيليس (*Homo Habilis*)[1]، وتُؤرّخ ما بين 2.6 ملين سنة و1.5 مليون سنة، ومن أشهر مواقعها الأخرى نذكر: قرب بحيرة تيركانا ولوكالالي وكوبي فورا بكينيا، وموقع بوري وحادار ووادي أومو بأثيوبيا ملكا كنتوري وكوبي فورا بكينيا، حيث عثر بها على حصاة ملساء مهيئة وهي حصاة بحجم قبضة اليد، وكتل صغيرة من الحجر أخذت منها بعض الشظايا (بواسطة حجارة أخرى) لإنتاج أدوات قاطعة خشنة لكنها صالحة للاستعمال، في قطع جلد حيوان أو تكسير أو تهشيم مادة نباتية صلبة، كما تستعمل في صنع أسلحة[2]. كما تُعرف كذلك **بحضارة الحصى المشذبة** (Bebble culture) في مناطق أخرى من العالم[3].

وتعتبر الألدوانية أقدم الأدوات الصناعية الحجرية المعروفة في العالم، وهو منحصر جغرافيا في مناطق محدودة خاصّة بشرق وجنوب إفريقيا بتأريخات أعطت مجموعتان من المواقع الألدوانية، مواقع راجعة للبليوسان مؤرّخة ما بين 2.6 و 2 م.س، ومواقع البليو –بليستوسان من 2 إلى 1.5 م.س. أمّا المنطقة الأورو–آسيوية فقد اكتُشِفت بها أدوات صناعية حجرية من النموذج التكنولوجي الأوّل ذات خصائص الألدواني، وهي تعتبر دليل على انتشار الإنسان نحو آسيا وأوربا قادما من شرق إفريقيا. وتتميّز الصناعات الألدوانية بصناعة حجرية ذات تكنولوجية بسيطة تطبعها الإنتهازية وبذل أقل الجهد في استغلال المادّة الأوّلية و إنتاج الأدوات الحجرية[4].

موقع عين الحنش وأهميته:

ويُعد موقع عين الحنش من أقدم وأهمّ مواقع فترة ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا، تمّ اكتشافه من طرف الباحث الفرنسي (Camille Arambourg) خلال بحوثه الباليونتولوجية التي خصّت الترسّبات القارية لمنطقة العلمة والتي بدأها سنة 1931، وقد أجرى هذا الباحث دراسته على الضفة اليسرى لوادي عين بوشريط، والتابع لبلدية القلتة الزرقاء، أين عثر فيه على أدوات حجرية لا تعد ولا تحصى، وعلى عدد هام

---

[1]– محمد سحنوني، المرجع السابق، ص83.

[2] – سوتن (ج.أ.غ)، افريقيا الشرقية (تاريخ إفريقيا العام)، المجلد الأول،جين أفريكن اليونسكو، ص493.

[3]– فرانسيس أور، حضارات العصر الحجري القديم، ط2، ترجمة: سطان محيسن، مطابع ألف باء، دمشق، 1995،ص44.

[4]– مروان رابحي، الصناعة الحجرية الألدوانية لموقع عين الحنش، رسالة ماجستير في آثار ما قبل التاريخ، 2004\2005، ص30.

من بقايا عظام الحيوانات المنقرضة التي اصطاده الإنسان ليستهلكها ويستخدم عظامها كأدوات يزيد عمرها عن 2.8 مليون سنة[1]، متمثلة في حصى مشذّبة: حصى متعددة الصّفحات، شبه آروية وآروية **(انظر الشكل1)** منتمية إلى النموذج التكنولوجي الأوّل شبيهة بالصناعة الحجرية المعروفة بموقع أولدوفاي وكوبي فورا[2].

نتائج الحفائر والدراسة المعمّقة ذات أهميّة آبرى، وقد استخلص منها ما يلي:

1- موقع عين الحنش أقدم موقع معروف بشمال إفريقيا يؤرّخ بحوالي 2.8 م.س، وهو دليل على انتشار أقدم للإنسان في المنطقة .

2- يعتبر الموقع في إطاره الأصلي ولم يتعرّض لخلل كبير أو لإعادة ترتيب، فهو إذا صالح لدراسة السّلوك والتعمير البشري لهذه المرحلة.

3- البقايا الحيوانية التي تمّ العثور عليها أثناء الحفرية قد تكون جزء من تغذية إنسان عين الحنش، والأدوات الحجرية استعملت في استغلال جثث الحيوانات وفي نشاط إقتناء اللّحم[3]. ومن أهم البقايا العظمية التي عُثر عليها عظام تنتمي لوسط السافانا تعود لخيليات وبقريات صغيرة وكبيرة وخنازير ووحيدات القرن وفراس النهر والفيلة والحصان النوميدي[4].

مميزات الصناعة الحجرية لعين الحنش:

تنتمي الصناعة الحجرية لموقع عين الحنش بمختلف مستوياتها إلى النموذج التكنولوجي الأول، وهي شبيهة بالمجموعات الصناعية الحجرية الألدوانية لمرحلة البليو -بليستوسان المعروفة في إفريقيا والمؤرخّة ما بين 2.6 و1.5 م.س، بموقعي ألدوفاي وكوبي فورا، وهي متكوّنة من نوعين أساسيين من الأدوات الحجرية: (حصى مشذّبة وناتج التقصيب) الشظايا المهذّبة وغير المهذّبة، والأجزاء تتميّز هذه الصناعة الحجرية بدرجة منخفضة من القياسية باعتبار درجة التشذيب غير الموحّدة، ومورفولوجية الحصى المشذّبة ذات النسق المختلف. أمّا المواد الأولية المستعملة فهي أساسا نوعان، الحجر الكلسي وحجر الصوّان، مع استعمال قليل لأنواع أخرى الحجر الرملي والكوارتزيت، وهذه المواد الأوليّة متوفّرة بضواحي الموقع، تنتمي الصناعة الحجرية لموقع عين الحنش للنمط التكنولوجي الأوّل، وهي شبيهة بتلك التي عثر عليها في شرق إفريقيا بموقع أولدوفاي وكوبي فورا[5].

---

[1] – عزيز طارق ساحد، الجزائر، ص140.

[2] - مروان رابحي، المرجع السابق، ص34

[3] – المرجع نفسه، ص35.

[4] - Sahnouni (M.), le bassin sétifien, DA, préhistoire d'Algérie, Avril 2003, p8.

[5] - مروان رابحي، المرجع السابق، ص37.

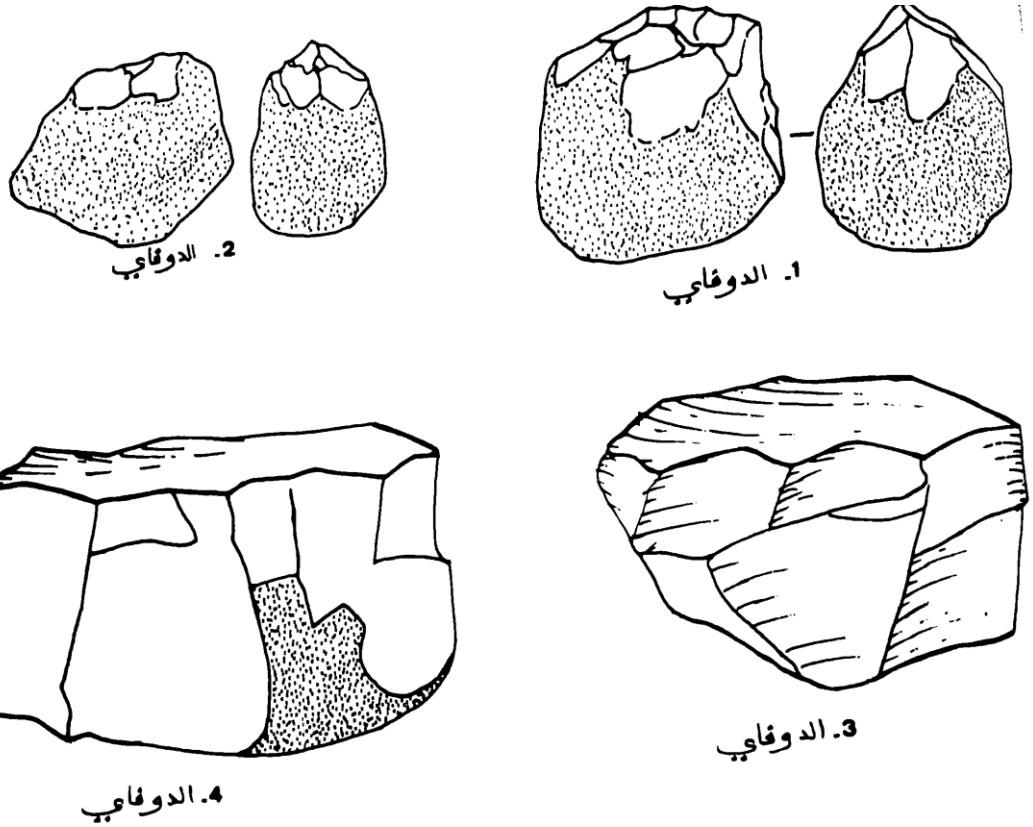

الشكل (1): أدوات ألدوانية

محمد سحنوني، المرجع السابق، ص89.

ويحتفظ موقع عين الحنش بأقدم الأدلة للتعمير البشري في منطقة شمال إفريقيا حيث تعود لحوالي 1.8 مليون سنة، ولا نعرف إن كانت أصولها محلية أم نتيجة هجرات من شرق إفريقيا، كما أننا لا نعرف لأي نوع بشري تنتمي، فمن الممكن أن تكون شبيهة للإنسان الماهر (Homo Habilis)[1]، أو إنسان إرقاستر (Homo Ergaster)[2]، أو تنتمي لنوع البشر الجنوبي الأسترالوبيتاكوس، على الرغم من عدم العثور على بقاياه العظمية، كان مقارنة بمثيلتها في جنوب وشرق إفريقيا فيمكن الاعتقاد بهذا، ومن هنا يمكن القول أن صانع أدوات عين الحنش لهم قرابة بذلك النوع بشرق أفريقيا[3].

كما عُثر على أدوات حجرية مشذبة شبيهة بالأدوات الألدوانية وأدوات عين الحنش في بعض المواقع الصحراوية في رقان وعرق بورحراحت، أولف قرب أدرار، إن أفيلاله قرب جانت، وادي تفاساست،

[1] – الإنسان الماهر (Homo habilis) هي تسمية أطلقها عالم الآثار لويس لايكي وزملاؤه: توبياس ونابيي للدلالة على الأحفورات التي تكون درجة تطورها التشريحي بين قرد الجنوب والإنسان القرد، للمزيد انظر: سوتن (ج.أ.غ)، المرجع السابق، ص444.

[2] - Sahnouni (M.), op.cit, p9.

[3]- براهيمي كلود، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، تر: محمد البشير شنيتي، بورويبة رشيد، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982، ص21.

منيت، تين زواتين، إن جران، برج تان كانا، قربب فزان، وتتميز بكبر الحجم، وهي مشذبة من جهة أو عدة جهات، ومصنوعة من حجر الكوارتز أو الكوارتزيت، وقيلا ما تكون من الحجر الرملي أو الصوان، وتُؤرخ بحوالي مليون سنة[1].

المحاضرة(3): الحضارة الأشولية

1- **التعريف بها:** تعتبر هذه الحضارة من أبرز الحضارات التي تميز بها العصر الحجري القديم الأسفل، وتنسب لموقعها النموذجي التي اكتشفت به لأول مرة وهو سانت أشول (Saint Acheul) بالقرب من مدينة أميان (Amiens) شمال العاصمة باريس[2]. ويعود الفضل في تحديدها وتسميتها أول مرة للأثري (de Mortillet G.) ، سنة ويقصد بها تلك الصناعات الحجرية الغنية بالأدوات ذات الوجهين[3]، وتعود بدايات الحضارة الأشولية إلى 1.6 مليون سنة في موقع ستراكوفونتان في جنوبي إفريقيا، وفي موقع العبيدات في فلسطين ويُؤرخ بـ 1.4 مليون سنة، أما في أوربا فأقدم موقع لها هو موقع أبفيل الذي يعود 100000 سنة، أما في منطقة شمال إفريقيا فتعود لحوالي نصف مليون سنة[4]. ويعتبر موقع تغنيف أو بالكاو سابقا والذي يبعد عن مدينة معسكر بعشرين كم أهم المواقع الأشولية في منطقة شمال إفريقيا، وقد درسه بالاري سنة 1911 وعثر به على عدد هام من الأدوات الحجرية المعروفة بذات الوجهين، وعلى أدوات ثلاثية الوجوه، كما عُثر به على بقايا حيوانية هامة تشبه تلك الموجودة في السفانا كالفيلة والكركدن وحمار الوحش[5].

2- مميزاتها: من أهم مميزاتها الفؤوس اليدوية (ذات الوجهين)، وكان ظهورها نتيجة تطور الصناعة الحصوية، حيث كانت تتشذب الحصاة من وجه أو وجهين للحصول على قاطع في الطرف الأبعد، وفي مرحلة تالية توسع التشذيب ليشمل كل الحصاة بتوسع القاطع على كل المحيط، وفي المرحلة الأخيرة أصبحت للحصاة المتوسعة التشذيب مدبب في الطرف الأبعد وتحتوي سمة التناظر، ومن أدواتها الأخرى المكاشط والمحكات. كما تميزت الحضارة الأشولية بابتكارات تقنية جديدة لم تُعرف من قبل في تاريخ

---

[1] – لخضر بن بوزيد، حضارة الرعاة في النيوليتي بالطاسيلي والهوقار من خلال الفن الصخري (6000 ق.م-1000ق.م)، رسالة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر2، 2015\2016، ، ص ص111-112.

[2] - سوتن (ج.أ.غ)، المرجع السابق، ص444.

[3] - Aumassip (G.), Préhistoire du Sahara et de ses abords, tome 1, Maisonneuve & Larose, Paris, 2004, p63.

[4] – لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص111.

[5] – عزيز طارق ساحد، الجزائر، ص ص147-148.

البشرية، تمثلت في اختراع تقنية التقصيب المحدد مسبقا، إذ كان الإنسان من قبل يقصب النواة بدون أن يتصور شكل أو حجم الشظية قبل نزعها من النواة[1].

3- أهم الأدوات الأشولية: تميزت الحضارة الأشولية بعدة أدوات حجرية عرفت فها دون غيرها، ومن أهم هذه الأدوات نذكر:

أ-الفأس اليدوية ذات الوجهين (البيفاسية Biface): هي أدوات ذات شكل مستطيل عموما، وتمتاز دائما برأس حاد وبحافتين قاطعتين، كانت تصنع هذه الأداة من حصاة كاملة أو من شظية كبيرة منفصلة من حصاة، ويحصل على الشكل العام للأدوات بواسطة نزع شظايا كبيرة من وجهي القطعة، ومن هنا سميت بالبيفاس **(انظر الشكل2)**، وتشمل عملية التشذيب أحيانا جميع أوجه القطعة الحجرية، لكن الصانع كان يترك أحيانا قاعة الأداة سالمة (وهي الجزء المعاكس للرأس الحاد)، وتميزت المرحلة الأشولية الطويلة بتطور في صناعة الأدوات البيفاسة التي اتجهت نحو انتقاء كبير أدى إلى إيجاد توازن أحسن في القطعة، وإلى انتظام شديد في حافتيها الحادتين، ويمكن تفسير هذا لاستعمال الصانع لقادح طري أي من خشب أو عظم، لأن القادح الطري يسمح بنزع شظايا أكثر رقة ما يسهل استقامة القطعة بعد تشذيبها بقادح صلب، ويمكن أن تكون هذه الأداة مثلثة أو لوزية بيضوية الشكل[2]. ولكن هذه الفؤوس أصبحت ذات شكل بيضوي، بمعنى أن طرفها المدبب أصبح على هيئة الأزميل، كما صارت الفأس أصغر حجما وقلت القشرة في أسفلها حتى اقتصر على شريط بسيط يحيط بقاعدة الآلة[3].

ب- البليطات: هي أدوات ذات حواف مستعرضة تأخذ اتجاها عموديا على محور القطعة الكبير، ومن جهة أخرى فإنه على عكس مواصفات حرفي الأدوات ذات الوجهين المتحصل عليها بلمسات مقصودة على الجانبية أو جعلهما أحيانا مستقيمتين بواسطة القادح المرن، فإن حرف البليطة ذو شروم لم ينله تهذيب أبدا، وعلى العموم يتم إعداد البليطات أولا بواسطة نزع شظايا عديدة من الحصاة تبعا لاتجاهات منطلقة من المركز، وثانيا قطع شظية كبيرة تكون بليطة، ويتم الحصول على الحرف المستعرض باتصال السطحين، سطح الوجه الأعلى بسطح الوجه الأسفل، ويتم إعداد البليطة بعد تحديد شكلها العام مسبقا، وتسمح الطرقة الأخيرة التي تفصلها عن الحصاة أو النواة بالحصول على أداة صالحة للاستعمال **(انظر الشكل3)** [4].

---

[1] – محمد سحنوني، المرجع السابق، ص ص93-95.

[2]– كلود براهيمي، المرجع السابق، ص ص22-23.

[3]- محمد رشيد الفيل، حضارات العصر الحجري القديم الأسفل، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد8، 1965، ص87.

[4]- كلود براهيمي، المرجع السابق، ص ص23-25.

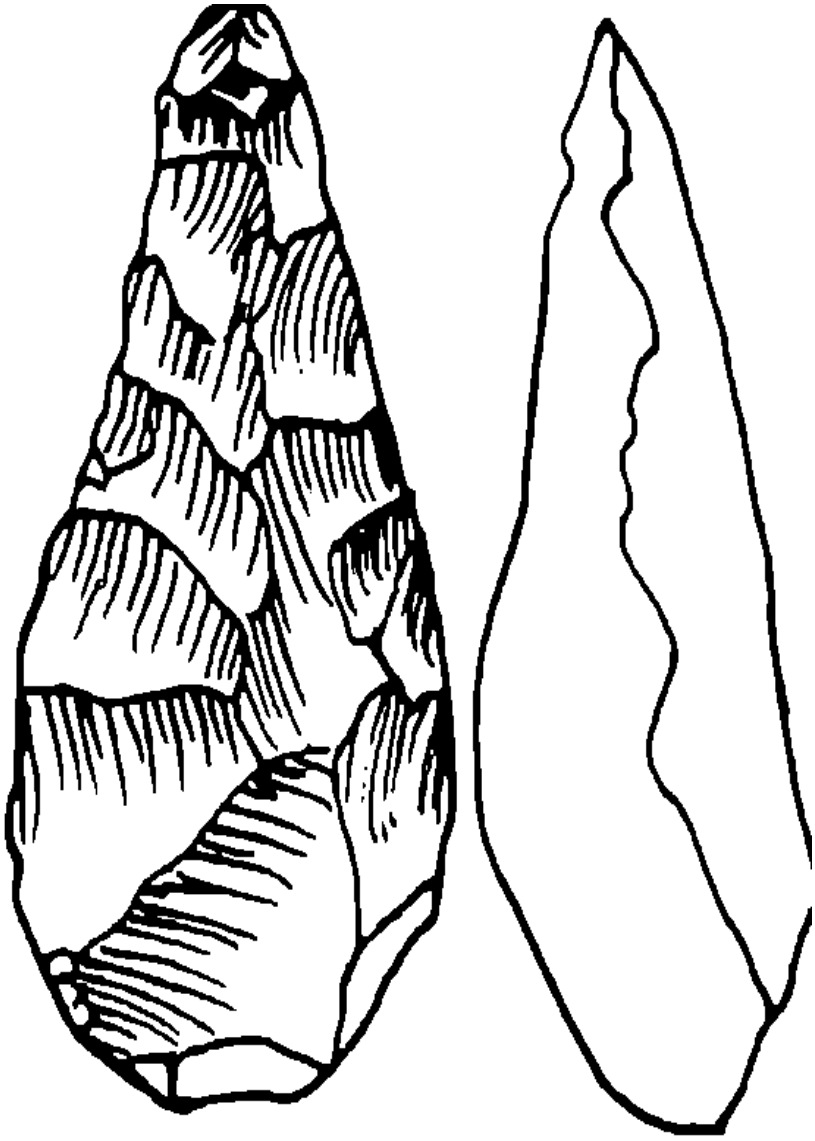

الشكل (2): فأس يدوية أشولية

محمد سحنوني، المرجع السابق، ص99.

ج- الفؤوس الصغيرة: تختلف هذه الفؤوس عن الفؤوس اليدوية في شكل طرفها الأبعد الذي يتميز بأنه قاطع وعرضين ينتشر خاصة في البلاد الإفريقية وبصفة أقل في جنوب أوربا المحاذية للبحر المتوسط[1].

ثلاثية الوجوه: يعتبر هذه الأدوات أقلها وفرة مقارنة بالفؤوس اليدوية والبلطيات، وهي ذات نهاية حادة وقاعدة مثلثية، حيث يقوم الصانع إعداده بنزع شظايا في ثلاثة اتجاهات أو أكثر وتتميز بالسمك[2].

[1]- محمد سحنوني، المرجع السابق، ص96.

[2] - كلود براهيمي، المرجع السابق، ص25.

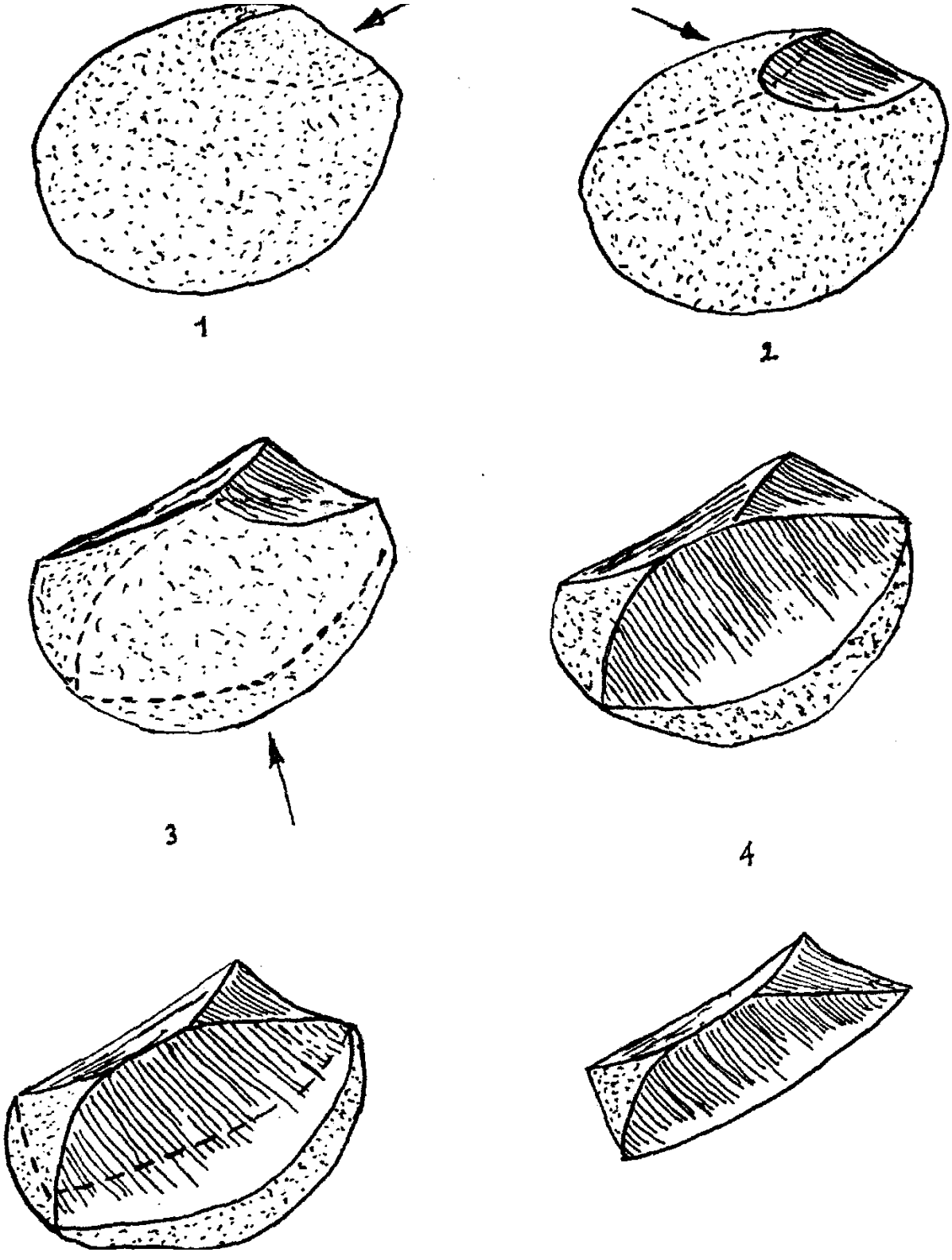

الشكل (3): كيفية صناعة بليطة

كلود براهيمي، المرجع السابق، ص24.

4- انتشار الحضارة الأشولية:

تعود أقدم شواهد الحضارة الأشولية لشرق إفريقيا، وتؤرخ بحوالي مليون ونصف سنة وترتبط بالإنسان المعتدل، حيث أن أقدم نماذجه موجودة هناك، ومن أهم مواقعه، أولدوفاي بتنزانيا في الطبقتين الثانية والثالثة، وكذلك وموقع مالكا كونتوري بكينيا، أما في المغرب القديم فتواجدت بموقع تغنيف قرب معسكر الذي اكتشف سنة 1870 حين شرع المعمرون في إنشاء قرية هناك، ويعود الفضل في اكتشاف هذه الموقع للأستاذ أرامبورغ الذي أجرى سلسلة من الحفريات الأثرية سنة 1954، وكُللت مجهوداته باكتشاف أدوات حجرية وبقايا عظمية تعود للحضارة الأشولية، فضلا عن عظام بشرية تنتمي للإنسان المعتدل سمي بإنسان الأطلس، ومن المواقع الأخرى موقع الماء الأبيض وشامبيلان وأوزيدان وبحيرة سفيان بشمال الجزائر، ومن أهم المواقع التونسية نذكر سيدي الزين، أما المغرب فمعروف بموقع سيدي عبد الرحمان[1]. ومن أهم المواقع الصحراوية نذكر موقعي وادي تين مات وموقع أمقيد شمال غربي الهوقار، وكذلك موقع تاوريرت تان أفلا قرب إليزي، وموقع إهاران بمنطقة الطاسيلي، ويُلاحظ أن مواقع الأشولية في الصحراء نادرة وتوجد قرب الأودية والبحيرات المتحجرة[2].

المحاضرة(4): إنسان الأطلس (Atlanthrope)

1-التعريف بإنسان الأطلس: يعتبر إنسان الأطلس أحد أنواع الإنسان المعتدل الخاص ببلاد المغرب، وقد بدأت قصة هذا الاكتشاف مع بداية الحفريات التي أجريت في موقع تغنيف القريب من مدينة معسكر منذ أواخر القرن التاسع عشر، عندما قام الأثري بالاري (Pallary) بمجموعة من الحفريات، ولكن الفضل الأكبر يعود الفضل للأستاذ ك. أرامبورغ (C.Arambourg)، الذي قام بمجموعة من الحفرايات سنة 1931، ثم عاد وأجرى حفريات أخرى ما بين 1954 و1956 توجت باكتشافات هامة تمثلت في العثور على بقايا عظمية بشرية تعود لأكثر من 500000 سنة، وهي عبارة عن ثلاثة فكوك سفلية أحدها نصفي وعدد من الأضراس المنعزلة **(انظر الشكل4)**[3]. وتتصف هذه البقايا بالضخامة، حيث أن الفكوك تتميز بالارتفاع والعرض الهامين وغياب الذقن والأضراس كبيرة وتشبه أضراس إنسان الصين فقد عُثر على بعض البقايا العظمية له بموقع تغنيف بالقرب من معسكر، تمثلت في ثلاثة فكوك سفلية

[1] - محمد سحنوني، المرجع السابق، ص101.

[2] - لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص113.

[3] - Aumassip (G.). *1. L'Atlanthrope, le plus vieil Algérien connu* In : *L'Algérie des premiers hommes* [en ligne]. Paris : Éditions de la Maison des sciences de l'homme, 2001 (généré le 06 mai 2019). Disponible sur Internet : <http://books.openedition.org/editionsmsh/6573>.

ومجموعة من الأضراس، فضلا عن عدة أدوات حجرية أشولية كان يستعملها في حياته اليومية من فؤوس يدوية وحصى منحوتة ، لكن حضارته تشمل كامل منطقة بلاد المغرب.[1].

كما تم العثور في منطقة صالي بالمغرب الأقصى على جمجمة تتميز بغياب الجبهة، ويبلغ حجم المخ لها 950 سم[3] ويؤرخ بحوالي 120000 سنة[2] ، كما عُثر قطعتين من فك سفلي في إحدى المغارات بسيدي عبد الرحمن التي تقع بالقرب من الدار البيضاء، وعُثر في إحدى المحاجر الرملية بالقرب من الرباط على بقايا لقوس جمجمة وبقايا لفك علوي وفك أسفل شبه كامل، وعثر على بقايا عظمية في إحدى مغارات تمارا غربي الرباط وعلى بقايا أخرى في محاجر توماس جنوبي الرباط، وتعتبر كل هذه البقايا البشرية المغربية أحدث من مكتشفات تغنيف باستثناء بقايا موقع توماس[3].

كما تم العثور على عدة بقايا عظمية تعود لإنسان الأطلس في المغرب الأقصى كم عُثر على بقيا عظمية أخرى له بموقعي الرباط سنة 1933 وصالي سنة 1971 منها، فكين سفليين وقطعتين من جمجمة وثلاثة فكوك ومجموعة أسنان تؤرخ بـ 160000 سنة، كما عُثر في موقع كبيبات على قطع لفكوك وعظام جمجمة، أما موقع توماس فقد عثروا فيه على فكوك وأسنان تؤرخ بـ 600000 سنة، وعُثر بموقع سيدي عبد الرحمن على قطعتين لفكوك.

2- **مميزات إنسان الأطلس:** ومن أهم مميزات هذا الإنسان:

- حجم المخ 930 سم[3]؛

- له فكوك كبيرة وقوية، ونظام الأسنان شبيه بمثيلتها لإنسان الصين؛

أما عن أصول إنسان الأطلس بمنطقة شمال أفريقيا فقد كان محل نقاش كبير، بالبعض يرى أن أصوله محلية وهذا استنادا للتطور المحلي للأدوات الحجرية، أما البعض الآخر فيرى أن أصوله أجنبية وبالتحديد من قارة آسيا التي عرفت عدة هجرات متتالية[4].

[1]- محمد سحنوني، المرجع السابق، ص57.

[2]- المرجع نفسه، ص ص57-59.

[3] - كلود براهيمي، المرجع السابق، ص26.

[4] - Aumassip (G.), Préhistoire du Sahara et de ses abords, tome 1, Maisonneuve & Larose, Paris, 2004, pp41-42

الشكل (4): فكوك لإنسان تغنيف

Aumassip (G.). *1. L'Atlanthrope*

المحاضرة الخامسة: الحضارة الموستيرية

يبدأ العصر الحجري القديم الأوسط في بلاد المغرب منذ حوالي 250000 ق.ح، وينتهي في حدود 20000 ق.ح، ومن الناحية الجغرافية تمتد المواقع الموستيرية والعاترية في مجال جغرافي مشترك يضم معظم بلدان شمال إفريقيا وشمال الساحل الإفريقي، وتنتشر المواقع من سواحل المحيط الأطلسي غربا إلى الضفة الغربية لوادي النيل شرقا، ومن شمال النيجر ومالي جنوبا إلى الساحل المتوسطي لبلاد المغرب شمالا[1].

1-التعريف بها: هي إحدى حضارات العصر الحجري القديم الأوسط، وتنسب لموقعها النموذجي بقرية موستييه (le Moustier) بالدوردون، وهي قرية تقع في جنوب غربي فرنسا، ظهرت في النصف الأول من الحقبة الجليدية الأخيرة، أي ما بين 100000 سنة و35000 سنة خلت، وهي فترت قصيرة إذا ما قورنت بالعصر الحجري القديم الأسفل، وانتشرت في إفريقيا وآسيا وأوربا، وتتميز هذه الحضارة بتنوع وتعدد أدواتها، حيث أصبحت أكثر دقة نظرا لسيطرة الإنسان على تقنيات صنع أدواته من الحجارة، ومن أهمها المحكات والمكاشط والمثاقب والمسننات ،[2] ومن أهم التقنيات التي تميزت بها التقنية اللوفالوازية (Technique Levalloisienne)، حيث يقوم الصانع بتشذيبات دائرية لقطعة الصوان أو الكوارتز ثم يقوم بعد ذلك في قطع الجزء العلوي من الحصاة انطلاقا من التشذيبات السابقة حتى تأخذ النواة شكل السلحفاة المنبسط، وبهذا تكون النواة جاهزة ويمكن نزع الشظية باللطريقة التالية: طرقة جانبية تؤدي لنزع شظية رقيقة تحمل على سطحها آثار تشذيبات دائرية، وعلى عقبها آثار صفيحات، مما يدل على الإعداد الدائري للحصاة **(انظر الشكل5)**[3]. وقد انتشرت هذه التقنية في شمال إفريقيا ما بين 80000 و50000 م.س قبل الحاضر، وهي متأخرة نوعا ما عن نظيرتها الأوربية التي بدأت في حوالي 130000 سنة قبل الحاضر، والموستيرية في شمال إفريقيا يغلب عليها النمط الفيراسي[4].

2- تصنيف الصناعة الموستيرية: يمكن تصنيف الأدوات الحجرية الموستيرية بناء على تقنيات إنجازها كما يلي:

أ- الموستيرية ذات التقاليد الأشولية: ومن أهم أدوات هذه المرحلة:

- استمرار وجود الفؤوس اليدوية وخاصة القلبية الشكل؛

---

[1] - نادية باهرة، المرجع السابق، ص11.

[2] - قراقب عبد الرزاق، مطيمط علي، المرجع السابق، ص ص20-102.

[3] - كلود براهيمي، المرجع السابق، ص48.

[4] - لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص ص116-117.

– قطع ذات الظهر المنحني؛

– ارتفاع نسب الرؤوس ذات الظهر والمحكات والنصال وانخفاض نسبتي الفؤوس والمكاشط في مرحلته التطورية.

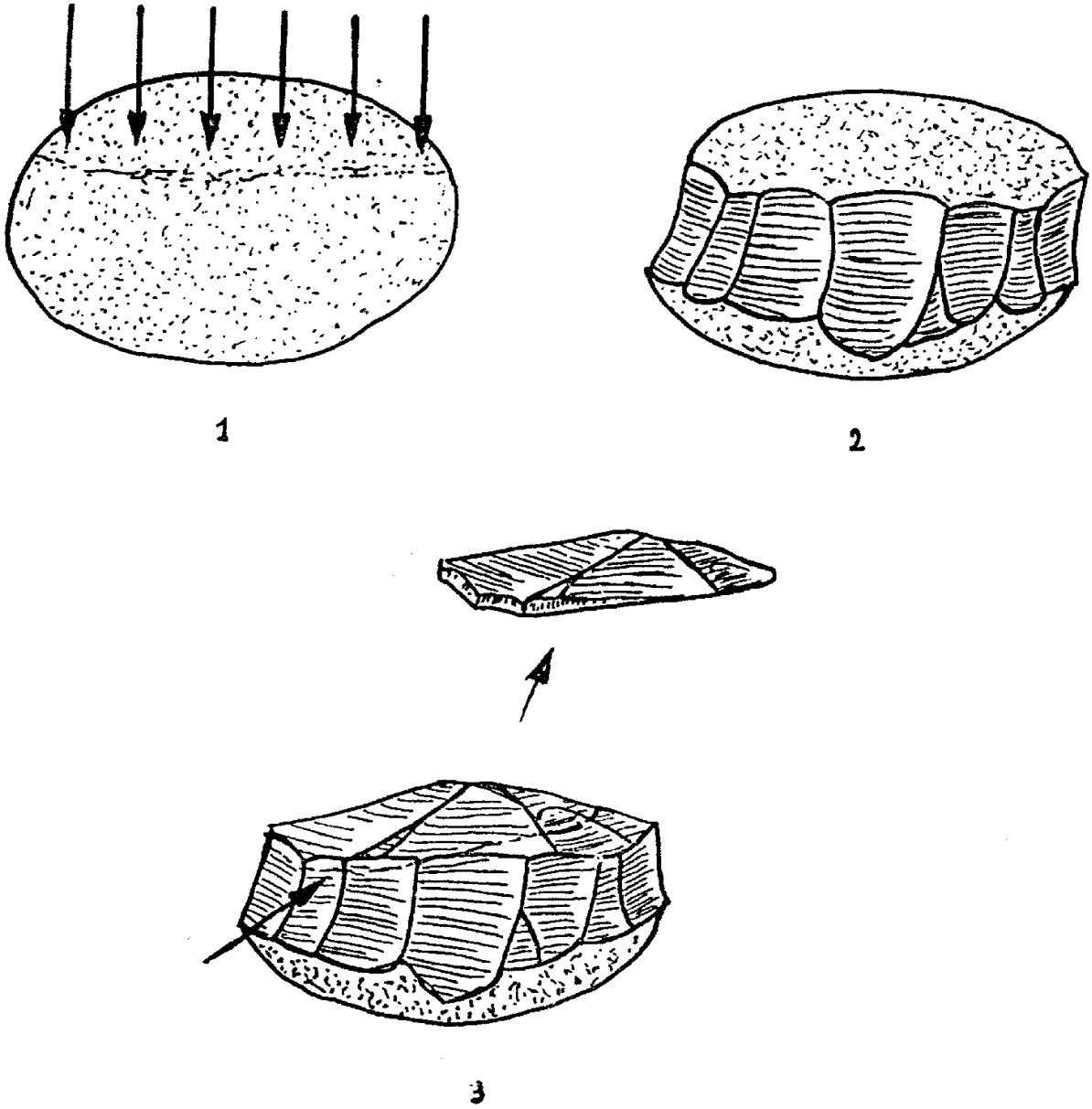

الشكل (5): أداة حجرية ذات تقنية لوفالوازية

كلود براهيمي، المرجع السابق، ص49.

ب- الموستيرية النموذجية: يتميز الوجه الموموستيري النموذجي بميزتين:

الأولى فيها طرق لوفالوزي، والثانية بدونه، وتشكل الأدوات الموستيرية الكلاسيكية: الحراب والمقاحف ذات النسب المختلفة أهم أدواتها، بينما تقل الأدوات المسننة ولا توجد فيها لافؤوس ولا سكاكين مظهّرة، كم عرفت تغيرا في نسبة المكاشط[1].

- **الموستيرية ذات المسننات:** يتميز هذا الوجه بندرة أو غياب مجمل الأدوات باستثناء أداتين هما: الحزات والمسننات، وهذان النمطان أغلبية أدوات هذه المرحلة[2].

- **الموستيرية الشارنتية:** نسبة لموقع كينا (Quina) في منطقة شارنت، ويقصد به الطرق اللوفالوزي الضعيف، وفيه الشظايا سميكة والنصال قليلة، وسطحها غالبا ما يكون أملسا، والأدوات المسننة فيها قليلة[3].

لكن بعض الباحثين ينفون وجود الحضارة الموستيرية في منطقة شمال إفريقيا لكونها لا تختلف كثيرا عن الحضارة العاترية، لكن الأثر أستورج (P. Esorges) أكد على وجود كلا الحضارتين اللذان يختلفان عن بعضهما من حيث شكل الأدوات ومن الناحية الأنثروبولوجية، وذلك بعد دراسة قام بها في موقع بريزينة بمنطقة الأطلس الصحراوي، ولاحظ وجود طبقتين تفصل بينهما طبقة من الرمال والحصى[4].

3- مواقع انتشار الحضارة الموستيرية في شمال إفريقيا: انتشرت الحضارة الموستيرية في مختلف أنحاء العالم لكن بنسب مختلفة، ومنها منطقة شمال إفريقيا، ومن أهم المواقع التي انتشرت فيها في هذه الاخيرة نذكر ما يلي: من أهم المواقع التونسية: سيدي الزين قرب مدينة الكاف، وعين محروثة بالقيروان، وعين مثرشم بجب الشعامبي غرب تونس، وسيدي منصور والقطار بقفصة، ووادي العكاريت على الساحل بقابس، أما أهم المواقع المغربية فنذكر: تافوغالت قرب مدينة وجدة، وكيفان بلغوماري بالقرب من تازة، وجبل إرحود جنوب شرقي سافي والمشهور ببقاياه العظمية البشرية[5]. أما في الجزائر فإن مواقعها نادرة جدا وتتمثل في: بريزينة في منطقة الأطلس الصحراوي، وتيبازة ورأس تنس والرثايمية قرب الشلف وتقرت[6]. ومن أهم مواقعها في الصحراء نذكر موقع إنيكير في الهوقار، وموقع منيت، تين هيناكتن وموقع

---

[1] - فرانسيس أور، المرجع السابق، ص106.

[2] - محمد سحنوني، المرجع السابق، ص ص103-104.

[3] - فرانسيس أور، المرجع السابق، ص107.

[4] - لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص117.

[5] - ليونال بالو، إفريقيا الشمالية في ما قبل التاريخ، ص580.

[6] - Aumassip (G.). *3. Le devenir de l'Atlanthrope et la question d'un Paléolithique moyen* In : *L'Algérie des premiers hommes* [en ligne]. Paris : Éditions de la Maison des sciences de l'homme, 2001 (généré le 06 mai 2019). Disponible sur Internet : <http://books.openedition.org/editionsmsh/6575>.

تيورينين بالطاسيلي، وموقع آخر قرب متليلي بغرداية **(انظر الخريطة1)**[1]. وتميز المحيط القديم بغطاء نباتي متوسطي بوجود أشجار الصنوبر والعرعار، وبوجود بعض الحيوانات التي تتناسب مع هذا المناخ والغطاء النباتي مثل الدببة والأيليات والغزلان والبقر الوحشي ووحيد القرن والجاموس العتيق[2].

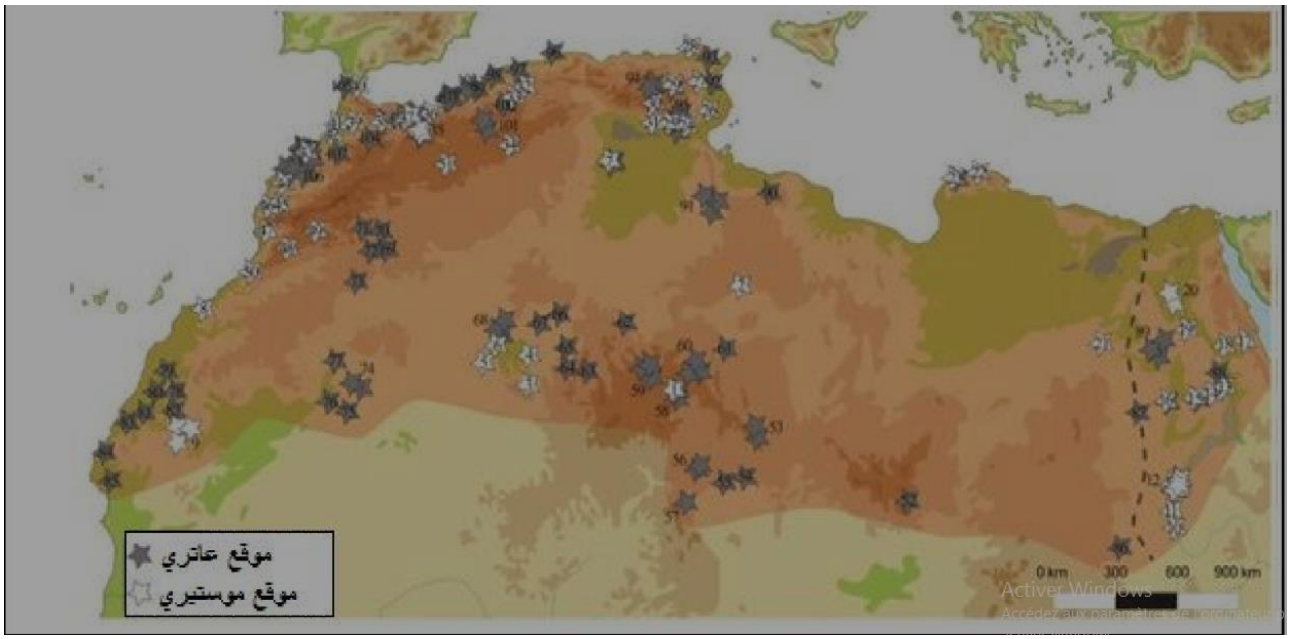

خريطة رقم (1): أهم المواقع الموستيرية والعاترية في شمال إفريقيا والصحراء

نادية باهرة، المرجع السابق، ص12.

المحاضرة (6): الحضارة العاترية

1- التسمية: تُنسب هذه الحضارة لموقعها النموذجي بئر العاتر بالقرب من مدينة تبسة، ويعود الفضل في اكتشافها وتسميتها للأستاذ موريس ريقاس (Maurice Reygasse) سنة 1922 في مؤتمر مونبلييه حيث أجرى أبحاثا أثرية موقع وادي الجبانة قرب بئر العاتر بتبسة[3]، وذلك لتمييز الصناعات المشتملة على أدوات ذات عنق وفصلها بصفة دائمة عن الصناعات الموسترية دون عنق، ويعتبر مصطلح

[1] - لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص117.

[2] - – عزيز طارق ساحد، الجزائر، ص159.

[3] – جمال بدري، أضواء على الحضارة العاترية، دار هومة، الجزائر، 2010، ص24.

العاترية المصطلح الوحيد من بين المصطلحات المقترحة من طرف ريقاس الذي لقي قبولا من طرف المجتمع العلمي وتواصل استعماله إلى اليوم[1].

2- تعريفها: اقترح تيكسي أول تعريف للصناعة العاترية حيث قال "أن العاترية وجه موستيري ذو تقصيبي لوفالوازي، كثيرا ما يكون نصالي مع نسبة كبيرة من الأعقاب المصفحة ونسبة محكات أعلى مما يميز باقي الأوجه الموستيرية. يتألف جزء من الأدوات من قطع تظهر في طرفها الأبعد عنقا مشذبا على وجهيه في أغلب الأحيان."[2] أما مصطفى نامي فيعرفها بقوله أنها :" مركب تقني ذو تغيرية جهوية واسعة تقتصر طرق التقصيب فيه على التقصيب الوفالوزي والتقصيب القرصي والتقصيب النصالي والتقصيب الكيفي، كما يتميز بتركيبة تنميطية متنوعة حسب المواقع تضم المعدات المميزة للباليوليتي الأوسط مع وجود عناصر مرتبطة بالباليوليتي الأعلى نظرا للتمكن من التقصيب النصالي. وتعد ظاهرة تعنيق الأدوات... ظواهر تظهر وتختفي وفقا لظروف نوعية[3].

ومن أهم أدوات الصناعة العاترية نذكر المكاشط والمسننات ورؤوس السهام المزودة بساق **(انظر الشكل6)** وكذلك السكاكين والشظايا ذات التقنية اللوفالوازية، وتمتد الحضارة العاترية من المحيط الأطلسي غربا إلى وادي النيل شرقا، كما تمتد جنوبا حتى السودان والصحراء والنيجر[4]. في حين تقل الصناعة العظمية في المواقع العاترية، إذ عثر على ستة عشرة قطعة فقط في مواقع عاترية مغاربية. كما استعمل الإنسان العاتري بعض المواد الملونة كالمغرة والقواقع المثقوبة من الرخويات البحرية، وقد كانت هذه القوقع تخضع لعملية ثقب ربما الهدف منها اتخاذها كحلية، كما وجد على البعض منها أثار المغرة الحمراء[5].

3- مراحل الحضارة العاترية: تنقسم الصناعات العاترية بناءا على أدواتها وتقنية صنعها إلى ثلاث مراحل، وهي:

أ- **العاترية القديمة:** وتتميز بصناعتها الشبيهة بالصناعة الموستيرية بل تعتبر امتدادا لها، وذات تقصيب لوفالوازي، ويلاحظ أنه في هذه المرحلة تقل الأدوات ذات العنق، وهي تتواجد في المواقع الساحلية

---

[1] – محمد الصغير غانم، المرجع السابق ص ص 59-60.

[2] - Aumassip (G.), Préhistoire du Sahara et de ses abords, p154.

[3]– نادية باهرة، المرجع السابق، ص ص15-18.

[4]- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص62.

[5] - نادية باهرة، المرجع السابق، ص ص35-36.

والمناطق القريبة منها[1]، ومن أهم المواقع التي عثر فيها على هذه الأدوات نذكر: موقع الحنك ودار السلطان وكهف الخنزيرة بالمغرب، وفي الخروبة وبيرار بالجزائر، والرأس الأبيض والمنستير بتونس[2].

ب- العاترية النموذجية: تتميز بصناعة موستيرية ذات تقصيب لوفالوازي بأعقاب متعددة الأوجه ونسبة من الصناعة تحتوي على عنق (ذنب)، ومن أهم أدواتها المحكات وخاصة منها المشكلة على رؤوس النصال، ومن أهم مواقعها نذكر موقع وادي الجبانة الذي أجرى فيه موريس ريقاس حفرياته، وكذلك وادي الجوف والشعاع بالشرق الجزائري، واستمر حضورها إلى غاية العصر الحجري الحديث[3].

ج- العاترية العليا: وتتميز أدواتها المهذبة والدقيقة، وتغلب عليها رؤوس السهام المزودة بساق في قاعدتها، وتنتشر في مغارة العالية شمال طنجة وموقع الخنزيرة بالمغرب الأقصى[4]، ومن أهم مواقعها الصحراوية نذكر: تيهودين، تين هناكتن، توقورت، جانت، منيت، تاجموت، حاسي الخنق، أسريول، وادي الساورة، كما تواجد في عدة مواقع شمال مالي والنيجر **(انظر الخريطة رقم1)**[5].

4- **العلاقة بين الموستيرية والعاترية:** تعتبر النظرة الكلاسيكية أن العاترية وجه متطور عن الموستيرية ومميزا لشمال إفريقيا، وبالتالي يكون احدث منه وربما معاصرا جزئيا لبعض الأوجه المتطورة للموستيرية، وقد تم حسبها الانتقال من وجه لآخر عبر تحول الأشكال الموستيرية إلى أشكال عاترية بتشذيب عنق قاعدي وتغير تدريجي للتركيبة التنميطية للصناعة بانخفاض مؤشر المكاشط مع تزايد كل من مجموعة أدوات الباليوليتي الأعلى والمجموعة العاترية. وبالرغم من كون الصناعات بدون أدوات ذات عنق لا تزال تتميز بتواريخ أقدم من الصناعات العاترية فقد أدى تضاؤل الفارق الزمني في التواريخ بين الموستيرية والعاترية إلى بروز آراء جديدة تتبلور أساسا في نظريتين:

النظرية الأولى: تعتبر الموستيرية المغاربية والعاترية وجهين ثقافيين متعاصرين وان كانت بصفة مستقلة عن بعضهما البعض طوال الحجري الأوسط، وبالتالي يكون هذا الأخير في شمال إفريقيا قد عرف مسارين حضاريين متوازيين في نفس الوقت، مسار تحولت فيها الصناعة الموستيرية إلى صناعة عاترية، ومسار بقيت فيها الصناعة الموستيرية دون تجديد تكنولوجي ملحوظ[6].

---

[1] - Aumassip (G.), Préhistoire du Sahara et de ses abords, p156.

[2] – محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص62.

[3] – محمد سحنوني، المرجع السابق، ص109.

[4] - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص64.

[5] - Aumassip (G.), Préhistoire du Sahara et de ses abords, p153.

[6] - نادية باهرة، المرجع السابق، ص42.

النظرية الثانية: تجمع هذه النظرية كلا من الحضارتين في وجه ثقافي واحد يتميز بالتنوع التكنولوجي والتنميطي، وتنتقد هذه النظرية ما يلاحظ من تصنيف الصناعات ضمن الوجه الثقافي العاتري بمجرد وجود أدوات ذات العنق، وبالتالي يعتبر العاترية وجه ثقافي موستيري اكتسب وطور تقنية جديدة للأنصاب تم استعمالها عند الضرورة وليس بصفة دائمة وشاملة. وبما ان كل النظريات لم تستطع الاتفاق وتقديم تفسير شامل وواحد، اقترح البعض استعمال العاترو–موستيرية[1].

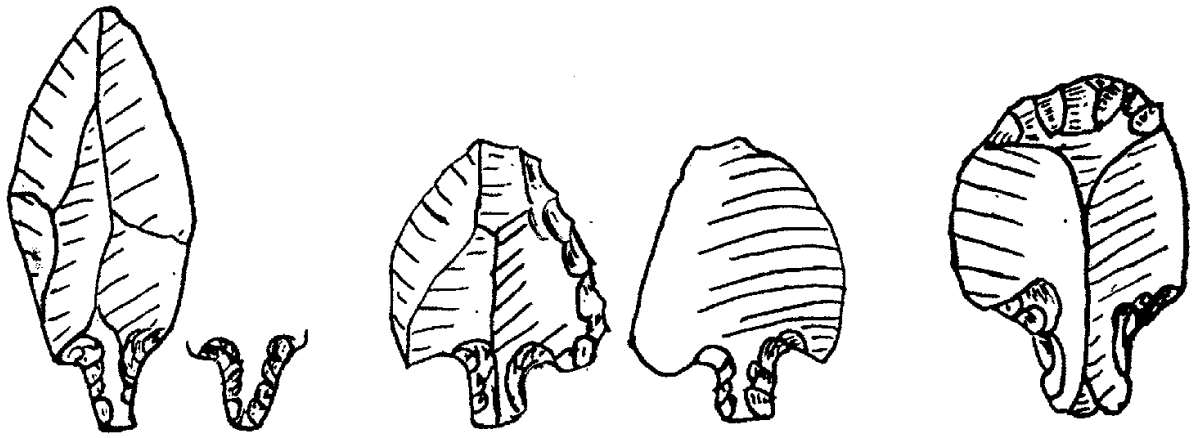

الشكل(6): أدوات عاترية مذنبة

كلود براهيمي، المرجع السابق، ص50.

المحاضرة (7): إنسان جبل إرحود ودار السلطان

1- تمهيد: لقد عُثر على مجموعة من البقايا العظمية البشرية تعود للعصر الحجري القديم الأوسط (100000-40000 ق.م)، والتي تنتمي إلى ما يسمى بالإنسان العاقل، وتوجد أغلب مواقعها بالمغرب الأقصى في انتظار المزيد من الأبحاث الأثرية في بقية الأقطار المغاربية الأخرى، وتكون دون شك للإنسان صاحب الحضارتين الموستيرية والعاترية، ومن أهم هذه البقايا العظمية نذكر:

2- **إنسان إرحود ومميزاته:** عُثر في صيف 2017 في موقع جبل إرحود بمنطقة سافي الواقعة جنوبي العاصمة الرباط بالمغرب الأقصى بحوالي 400 كم على بقايا عظمية بشرية لإنسان تُؤرخ بـ 300000 سنة تمثلت في جمجمتي وجزء من فك سفلي لأفراد بالغين **(انظر الشكل7)**، وفك سفلي وعظم عضد لطفل أُعتبرت أقدم مخلفات بشرية للإنسان العاقل في العالم (Homo sapiens) رفقة بقايا عظمية حيوانية وأدوات حجرية وتميزت بمناخ حار ورطب وببحيرات كثيرة، ولا يستبعد العلماء من خلال هذه البقايا أن

[1] - نادية باهرة، المرجع السابق، ص ص42-43.

تكون منطقة شمال إفريقيا مهد البشرية، بعد أن ساد الاعتقاد طويلا أن منطقة شرق إفريقيا هي الموطن الأول للإنسان العاقل[1].

ويتميز إنسان إرحود بجمجمة قصيرة ومستطيلة، يقترب حجمها من 1500 سم[3]، وهو أدنى من حجم جمجمة مثيله في أوربا، أما محاجر العيون كبيرة ومستديرة ومتباعدة، والفك الأعلى متقدم، أما فص الدماغ الخلفي فيتميز بالانبساط والاستطالة، وهناك بروز عظمي سميك يحدد منطقة التحام عضلات القفا[2]. وبجبهة تتميز بأكثر اعتدالا إذا ما قورنت بجبهة إنسان نياندرتال في أوربا؛ أما حزام فوق الحاجبين فليس ضخما، وصاقورة الجمجمة مسطحة، والتجاويف ليست متطورة[3]. كما يتميز بضخامة الأسنان وبوجه عريض ومنخفض، وتمايز الذقن[4]. ويكتسي إنسان جبل إرحود أهمية كبرى، ذلك أنه يكمل سلسلة المتحجرات البشرية من إنسان الأطلس إلى الإنسان العاقل، الأساس الأنثروبولوجي لشمال إفريقيا خلال ما قبل التاريخ[5].

3- إنسان دار السلطان ومميزاته: تعتبر البقايا البشرية لدار السلطان2 مرجعا لوصف خصائص هذا الإنسان نظرا لتوفرها على معظم أجزاء الجمجمة، وهي تتميز بالضخامة والخشونة مع وجه منخفض وعريض ذو ملامح بارزة[6]. أما أقواس حاجبه بارزة ووجهه أطول، وحافة الأنف والجبهة الواقعة تحت منتصف المحاجر وكذلك فكوك متقاطعة، كما يتميز بشساعة عرض الأنف. وإنسان دار السلطان ذو مواصفات قديمة وأكثر خشونة، وله قياسات عمودية أكبر، وأقواس حواجب أكثر بروزا، ويتقاسم مع الإنسان المشتوي خصوصيات كثيرة. ويشكل إنسان دار السلطان همزة وصل بين إنسان جبل إرحود والإنسان المشتوي[7].

كما عُثر بقايا أخرى بموقع **هوافتيح** وتعد أقدم البقايا البشرية العائدة إلى العصر الحجري القديم الأوسط، وهو عبارة عن أجزاء من فكين سفليين لفرد بالغ والآخر مراهق، وتتميز هذه الفكوك بصفات بدائية وأخرى متطورة مثل فكوك جبل إرحود، وقد صنفت ضمن مجموعة أشباه النياندرتال في البداية ثم

---

[1] - Mulot (R.), L'équipe du Pr Hublin a découvert "le premier de notre espèce" https://www.sciencesetavenir.fr/archeo-paleo/le-premier-des-homo-sapiens-a-300-000-ans.

[2] - براهيمي كلود، المرجع السابق، ص51.

[3] – محمد سحنوني، المرجع السابق، ص ص63-64.

[4] - نادية بهرة، المرجع السابق، ص 55.

[5] - براهيمي كلود، المرجع السابق، ص51.

[6] - نادية بهرة، المرجع السابق، ص57.

[7] - حاشي سليمان، المرجع السابق، ص ص32-33.

حولت إلى مجموعة الإنسان العاقل العتيق. واكتشفت جل البقايا البشرية اللاحقة في منطقة **تمارة** بالقرب من الرباط، وهي تنتمي لنفس المجموعة البشرية[1].

الشكل (7): جمجمة إنسان إرحود

Rachel Mulot, op.cit.

[1]– نادية باهرة، المرجع السابق، ص ص54–55.

4- الأصــول: يظهر الممثلون الأوائل للإنسان العاقل ما بين 200000 و100000 سنة في مناطق عدة من القارة الإفريقية ومنها منطقة شمال إفريقيا: جبل إرحود ودار السلطان وهوافتيح، وتخضع مسألة الانتشار لعدد من الفرضيات منها:

أ- **فرضية الأصل الواحد الإفريقي:** وتُعرف في الأوساط العلمية باسم **الخروج من إفريقيا** (out of Africa)، والتي ترجع الإنسان العاقل إلى أصل واحد يظهر في شرق إفريقيا في حوالي 20000 سنة وانتشر في مختلف مناطق العالم.

ب- فرضية الأصول المتعددة: التي ترجع الإنسان العاقل وترى انبثاق سلالات متعددة من الإنسان العاقل انطلاقا من سلالات الإنسان المعتدل المحلية، وبالتالي يكون إنسان جبل إرحود منبثقا من الإنسان الأطلسي المحلي[1]. ومن المميزات الخاصة لأشباه نياندرتال بشمال إفريقيا هو استقلالية التطور للإنسان الحفري في هذه المنطقة، ولا يبدو عليه أنه متطور عن نظيره الأوربي أو المشرقي أو من أي منطقة أفريقية أخرى، بل أنه تطور تطورا محليا[2]. ولا نستبعد أن يكون منحدرا من الإنسان الأطلسي الموريطاني وقد يكون امتدادا لإنسان حضارة عين الحنش.

المحاضرة (8): الحضارة الإيبرومغربية (الوهرانية)

1-التسمية: أطلقت هذه التسمية لاعتقاد بعض الباحثين الذين درسوا صناعاتها أن مرتبطة بحضارات العصر الحجري القيم الأعلى بشبه جزيرة إيبيريا، ويعود الفضل في اكتشافها إلى الأستاذ بول بالاري (P. Pallary) الذي قام بمجموعة من الحفريات في موقع عين المويلح سنة 1899 بالغرب الجزائري، وأطلق عليها هذه التسمية، معتقدا أنها متأثرة بالصناعات الميكروليتية الأيبيرية[3]، كما قام ستيفان قزال (S. Gsell) سنة 1910 بالتنقيب فيها، وأراد كل من جوبير (E.G. Gobert) وفوفري (R. Vaufrey) تسمية هذه الحضارة بالحضارة الوهرانية، إلا أنهما لم يفلحا في ذلك[4]. وقد أثبتت الحفريات والأبحاث التي أجريت خلال القرن الماضي أنه لا وجود لتقارب أو تأثيرات حضارية تربط بين شبه جزيرة أيبيريا وبلدان شمال

---

[1] - نادية باهرة، المرجع السابق، ص58.

[2]- محمد سحنوني، المرجع السابق، ص ص63-64.

[3] - Aumassip (G.). *4. L'homme de Mechta el-Arbi, dernier descendant de l'Atlanthrope ?* In : *L'Algérie des premiers hommes* [en ligne]. Paris : Éditions de la Maison des sciences de l'homme, 2001

[4]- محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى، عين مليلة، 2003، ص ص82-83.

إفريقيا، وبالتالي فإن تسمية وهرانية هي أقرب للمعطيات التاريخية، ومن الأفضل استعمالها على مصطلح الإيبرومغربية[1].

2- الانتشار والامتداد الجغرافي: تعود بدايات الحضارة الإيبرومغربية في حوالي 22000 سنة إلى غاية 8000 سنة تقريبا، وتمتد من السواحل الأطلسية المغربية حتى السواحل المتوسطية، غير أنها تبدو غائبة على السواحل المتوسطية المغربية ونادرة جدا بالسواحل الشرقية التونسية، كما تنسب لها بعض المواقع الداخلية[2]، ومن أهم مواقعها نذكر: كلومناطة والهامل بالقرب من بوسعادة ومغارات تمارهات وأفالو بورمل وعلي باشا قرب بجاية، وجيجل ومغارة راسل بجبل شنوة وجبل إيدوغ بعنابة وبونوارة وكاف أم التويزة بالجزائر، ووادي العكاريت بخليج قابس ووشتاتة بتونس، وكيفان بلغوماري شمال مدينة وجدة وعين الرومان وبوسكورة والخنزيرة بالمغرب الأقصى[3]. وبعد أن ساد رأي لفترة طويلة يقول أن الحضارة الإيبرو مغربية حضارة ساحلية، فقد تم التخلي عنه بعد العثور على عدة مواقع داخلية وصحراوية، حيث تواجدت جنوبي منطقة الأطلس الصحراوي بالجزائر، وفي منطقة الأطلس الأوسط بالمغرب الأقصى بمواقع مرتفعة تزيد عن 2000م حيث تتواجد منابع مائية وعيون **(انظر خريطة رقم2)**[4].

3- الوسط الطبيعي خلال الحضارة الإيبرومغربية: تشير التحاليل التي أجريت على بقايا النباتات بالمواقع الإيبيرو مغربية أنها تعود للصنوبر الحلبي وأشجار الأرز، وهذا يشير أن المناخ السائد حينها مناخ بارد نسبيا، أما الوسط الحيواني فقد تواجدت حيوانات مثل: البقر الوحشي العتيق والحصان الوحشي المغربي، والأيل الجزائري[5].

ويبدو أن الإيبرومغاربة كانوا يعيشون في المناطق الساحلية وفي التل أحيانا، ونادر بالمناطق الصحراوية، ويقيمون في الكهوف والمغارات المتجهة نحو البحر الذي كان مستواه أكثر انخفاضا مما هو عليه الآن، وكان الناس يعيشون على صيد الحيوانات الكثيرة العدد كالضبي والغزال والبقر الوحشي وصغار القواضم والطيور... وكثيرا ما كانوا يكملون وجباتهم من منتوجات الصيد البحر أو الحلزون، كما استهلكوا بعض النباتات البرية كالعنبيات والجذور[6].

---

[1] - قراقب عبد الرزاق، مطيمط علي، المرجع السابق، ص35.

[2] – محمد سحنوني، المرجع السابق، ص117.

[3] - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص ص89-92.

[4] - Aumassip (G.). *4. L'homme de Mechta el-Arbi, dernier descendant de l'Atlanthrope ?*

[5] - محمد سحنوني، المرجع السابق، ص119.

[6] - كلود براهيمي، المرجع السابق، ص ص77-78.

خريطة رقم (2): أهم المواقع الإيبرومغربية والقفصية

محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص91.

4- الأدوات الإيبيرومغربية ومراحل تطورها: تتكون معظم الأدوات الإيبرومغربية من نصال[1] صغيرة مستخرجة من حجر الصوان، حيث يقوم الصانع بطرقها طرقا خفيفا لتكتسب حدا مثلوما **(انظر الشكل8)**. وقد عثر في بعض المواقع على قطع حجرية مكوّرة وملساء استعملت لسحق مواد التلوين أو طحن الحبوب البرية، كم يعتبر استغلال عظام الحيوانات في صنع أدواتهم من مميزات هذه الحضارة[2]، وتنوعت

[1] – النصلة (lame) هي عبارة عن شظية ذات جانبين حادين متوازيين، وقد قُقطع جانبان منها بشكل مائل بحيث يلتقيان في رأس حاد، ويستعمل لأغراض مختلفة، أما النصيلة فهي تشبه النصلة في شكلها، ولكنها صغيرة الحجم بثلاث مرات عن النصلة. للمزيد انظر: – عزيز طارق ساحد، الجزائر، ص ص86–87.

[2] - قراقب عبد الرزاق، مطيمط علي، المرجع السابق، ص35.

المواد الأولية المستعملة في الصناعة الحجرية منها حجر الصوان وهو الأكثر انتشارا في الطبيعة، والحجر الكلسي والكوارتزيت، فضلا عن الصناعة العظمية[1].

ويقسم المختصون صناعات هذه المراحل حسب تقنياتها لثلاثة مراحل هي:

أ- **المرحلة القديمة:** وتبدأ هذه المرحلة من ظهوره هذه الحضارة إلى غاية الألف العاشرة، وتتميز بكبر حجم أدواتها، والتي تمثلت في المحكات وقلة الأزاميل والنصال المضروبة الظهر، وندرة الأدوات ذات المقاييس الهندسية مثل المثلث والمنحرف وبقية الأشكال الأخرى[2].

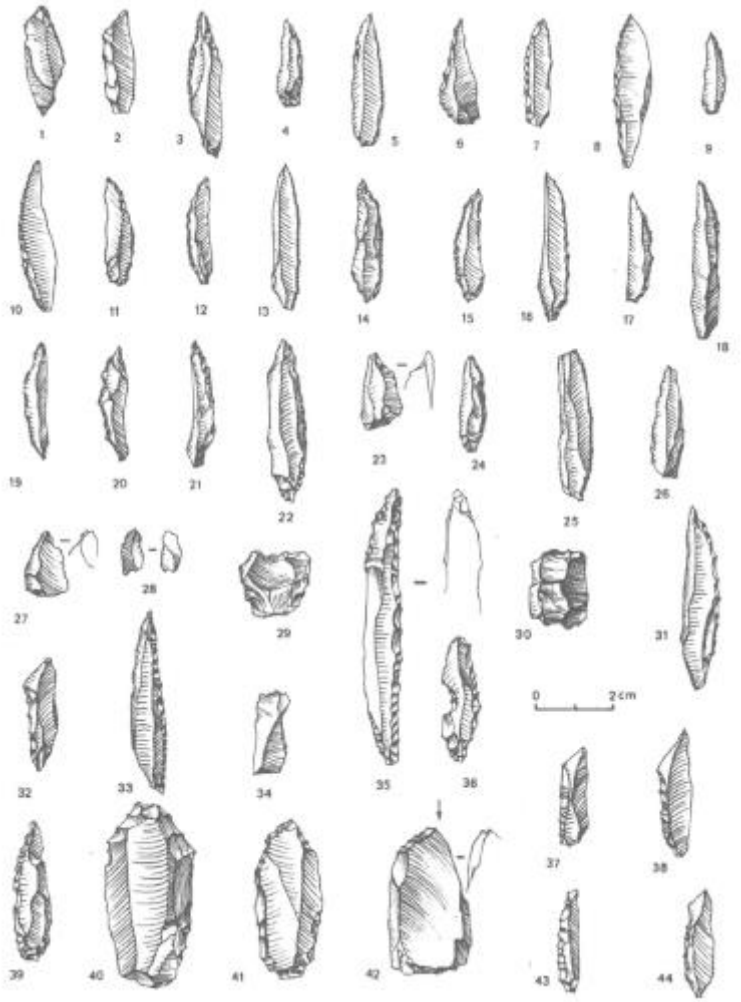

الشكل (8): أدوات حجرية إيبرو مغربية

G. Camps, « Ibéromaurusien », P3583.

[1] - عبد القادر دراجي وآخرون، جرد مواقع العصر الحجري القديم لمنطقة الساحل الغربي الجزائري، وزارة الثقافة، الجزائر، 2014، ص36.

[2] - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص87.

ب- المرحلة الكلاسيكية: وتبدأ من الألف العاشرة إلى غاية الألف الثامنة، وتتميز بارتفاع نسبة النصال ذات الظهر بنسبة 25%، وغناها بالأدوات الميكروليتية ذات الأشكال الهندسية المختلفة[1]. وكذلك بالأدوات المحززة وغيرها، ومن أهم مواقعها: موقع كهف راسل بشنوة (تيبازة)، التي درسها ونقب فيها الباحث كلود براهيمي[2].

ج- المرحلة المتطورة: ظهرت أدوات هذه المرحلة في أواخر هذه الحضارة أي في حوالي منصف الألف التاسعة، وتتميز بانخفاض نسبة النصال ذات الظهر، وانخفاض نسبة الأدوات الميكروليتية، وتحتوي على عدد معتبر من الأدوات المحززة[3].

5- المعتقدات: تتميز المعتقدات الايبرومغربية بالندرة وكثيرا ما يشوبها الغموض، ومن أهمها عادة قلع بعض القواطع العليا فقط عند الرجال والنساء، ولا يعرف السبب الحقيقي لهذه العادة الغريبة، وربما يكون طقسا يشير للانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة والرشد، أو طقس العبور[4]، وهي عادة معروفة لدى بعض المجتمعات الإفريقية الحالية، كما كانوا يمارسون عادة صبغ الجسم ببعض المواد كالمغرة، وفي الجانب الجنائزي كانوا يدفنون موتاهم في وضعيتين: بطي الجثة على نفسها وتسند على الجنب أو الظهر، وأحيانا يعثر على عظام مسجاة دون انتظام وليس بينها اتصال، وربما كانوا ترمى الجثة وبعد التخلص من اللحم يعاد دفنها من جديد[5].

وقد عُثر في موقع أفالو بورمل ببجاية على مجموعة من الهياكل البشرية المدفونة، وأغلبها مدفون في وضعية منكمشة، فقد كانت الأطراف السفلية شديدة الانكماش وتصل الركبتان حد الصدر، والقدمان بمحاذاة الحوض والأيدي منكمشة حول الجسد وقد بلغت الكتفين أو الرأس، ووجد طفل مدفون ومتجه نحو الأسفل، كما عُثر على هيكل رجل ممدود وموضوع على الظهر، وأطرافه متوازية مع جثته، والرأس متجه نحو الشرق، ووضعت بجانب الرأس كمية من المواد الملونة كالمغرة، ومعها مخرز مصنوع من عظم، كما وُضعت معه بعض الحصى الصوانية المختلفة الأشكال[6]، ولا نعرف الغرض الحقيقي من وضعها رفقة الجثة، فهل كانت بمثابة أثاث جنائزي وضعوا من أجل استعماله في العالم الآخر، وهل هذا يدل على إيمانهم بعقيدة الخلود؟

---

[1] - محمد سحنوني، المرجع السابق، ص118.

[2] – عزيز طارق ساحد، الجزائر، ص170.

[3] - محمد سحنوني، المرجع السابق، ص118.

[4] - Aumassip (G.). Ginette. *4. L'homme de Mechta el-Arbi, dernier descendant de l'Atlanthrope ?*

[5] - كلود براهيمي، المرجع السابق، ص ص78-79.

[6] - حاشي سليمان، في أصول الفنون البدائية بشمال إفريقيا، تر: إسماعيل أدير وآخرون، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ، الجزائر، 2010، ص ص28-29.

6- الفن الإيبرو-مغربي: تعود أقدم المظاهر الفنية بمنطقة شمال إفريقيا إلى الحضارة الإيبرومغربية، إذ عُثر على عدة تماثيل صغيرة بشرية وحيوانية مصنوعة من الطين المشوي، وكذلك على منحوتات فنية ذات أشكال بشرية وحيوانية مصنوعة من حجارة، كما تم العثور على صفائح صخرية منقوشة بخطوط هندسية منحنية وأخرى مقعرة[1]، كما عُثر في تافوغالت على صخور تحمل صور حيوانية وإن كانت منقوشة بشكل رديء كالفيلة والأروية، كما كانوا يصنعون الحلي من الحجارة والقواقع، ومن بقايا قشور بيض النعام بعد تزيينها، وتلوينها بالمغرة وبعض المستخلصات النباتية والحيوانية، لكن الفن سيعرف ازدهار كبيرا خلال الحضارة القفصية والعصر الحجري الحديث[2].

المحاضرة (9): الحضارة القفصية

1-التسمية: تعتبر الحضارة القفصية إحدى الحضارات التي تميزت بها منطقة شمال إفريقيا خلال العصر الحجري المتأخر، وتنسب لموقعها النموذجي قفصة بجنوب غرب تونس، حيث اكتشفت أولى أدواتها القزمية الحجرية سنة 1909 وبالتحديد في موقع المكتة من طرف دي مورجان (De Morgane)،[3] لكن في البداية اعتقد بعض المختصين أن الصناعة القفصية شبيهة بالصناعات العصر الحجري القديم الأعلى في أوربا كالصناعات الأورغانسية والبريجودية، ولهذا رفض بعضهم اعتبارها صناعة جديدة وطالبوا بالتخلي عن التسمية الجديدة (القفصية)، وبعد القيام بأبحاث وتنقيبات جديدة عُثر على أدوات قزمية فرأى كل من الباحثين جوبير(G. Gobert) وفوفري (R. Vaufrey)بتأكيد التسمية ونشرها في الأوساط العلمية كحضارة تتميز بها الجنوب الغربي التونسي والشرق الجزائري، كما أنها حضارة داخلية، لم تصل مظاهرها إلى السواحل[4].

2- الانتشار والامتداد الجغرافي: تشير التحاليل التي أجريت على أكثر من ثمانين عينة مستخرجة من مستوطنات أثرية قفصية باستعمال الكربون المشع (C14) أن هذه الحضارة قد ظهرت بعد الحضارة الوهرانية لكن في نفس العصر أي العصر الحجري القديم المتأخّر، ولم تستغرق إلا فترة زمنية قصيرة مقارنة بحضارات أخرى، وتعود أولى أدواتها للألف الثامنة قبل الميلاد إلى غاية الألف الخامسة قبل الميلاد، وهذا يعني أنها دامت حوالي ثلاثة آلاف سنة أو يزيد قليلا، ومن أهم مواقع في تونس نذكر: موقع المقطع النموذجي والقريب من مدينة قفصة والقصرين وسيدي بوزيد والرديف وفريانة والمتلوي وأم

---

[1] - حاشي سليمان، المرجع السابق، ص ص139-157.

[2] - G. Camps, « Ibéromaurusien », in *23 | Hiempsal – Icosium*, Aix-en-Provence, Edisud (« Volumes », no 23) , 2000, pp3597-3598.

[3]- D. Grebenart, « Capsien », in Gabriel Camps (dir.), *12 | Capsa – Cheval*, Aix-en-Provence, Edisud (« Volumes », no 12) , 1993, p1760

[4] - محمد سحنوني، المرجع السابق، ص ص120-121.

العرائس والقطار وعين متهرشم وعين سندس وبئر حمايرية وبئر أم علي[1]. ومن أهم المواقع الجزائرية نذكر: موقع الجبانة وقلعة المحاد وعين الذكارة وارفانة بتبسة، المجاز2 وبوشريط بسطبف وكدية كيفان لحظة بعين مليلة وكلوماطة وكيدا بتيارت وواد بوسعادة وحاسي المويلح وعين الناقة قرب مسعد، ويلاحظ من خلال هذه المواقع تمركزها في وسط غربي تونس وشرق الجزائر حتى تيارت[2]. كما توغلت لمنطقة شمال الصحراء ويتضح ذلك في مجموعة من المواقع في توقورت ووادي سوف تؤرخ بحوالي 6650 ق.م، وموقع الحجار بورقلة ويؤرخ بحوالي 5350 ق.م **(انظر الخريطة رقم2)**[3].

3- الوسط الطبيعي خلال الحضارة القفصية: عاش القفصيون في السهول السهبية في المناطق التلية والصحراوية البعيدة عن السواحل، وكانت الطبيعة أكثر رطوبة وبرودة وهذا ما تؤكده بقايا الأشجار التي حددها علماء النبات القديم والمتمثلة في شجر المران والدردار والصفصاف والأرز والبلوط والصنوبر الحلبي والصنوبر الأخضر[4]، وكان يسكنون في الهواء الطلق، وهذا لا يعني عدم التجائهم للكهوف والمغارات خلال البرد، كما كانوا يقيمون مساكنهم بالقرب من السبخات والوديان، حيث تكثر الطرائد كالبقريات الكبيرة والصغيرة والقواضم والطيور، وكذلك الحلزونيات، كما كانوا يكملون وجباتهم بأغذية النباتات البرية كالعنبيات والجذور، وقد خلّف القفصيون في المناطق التي يقطنونها تلالا تُعرف عند الرعاة البدو في المنطقة بالرماديات (escargotière)[5]، وهي عبارة عن أكوام ذات أبعاد مختلفة وهي مكونة من رماد المواقد والفحم والصخور وبقايا عظام الحيوانات وقواقع الحلزون وأدوات حجرية وعظمية[6]. وقد قام القفصيون في منتصف الألف السابعة قبل الحاضر بتدجين الخراف والماعز ورعي مواشيهم، فضلا عن مواصلتهم صيد الحيوانات الأخرى، إذ يعد القفصيون أول الرعاة في تاريخ البشرية، حيث تشير بعض الدراسات أن بعض المجموعات القفصية قامت بنوع من الزراعة البدائية[7].

4- الأدوات القفصية ومراحل تطورها: تمثلت أغلب الأدوات القفصية في الشفرات والرؤوس ذات الظهر والمحكات والنصال المصنوعة من حجر الصوان **(انظر الشكل9)**، وتميزت هذه الأدوات بالتنوع والدقة

---

[1] - قراقب عبد الرزاق، مطيمط علي، المرجع السابق، ص37.

[2] - Aumassip (G.).. *4. L'homme de Mechta el-Arbi, dernier descendant de l'Atlanthrope ?* In: *L'Algérie des premiers hommes* [en ligne]. Paris : Éditions de la Maison des sciences de l'homme, 2001

[3] – لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص136.

[4] - محمد سحنوني، المرجع السابق، ص124.

[5] - كلود براهيمي، المرجع السابق، ص ص87-88.

[6] - D. Grebenart, op.cit, p1760.

[7] – عزيز طارق ساحد، الجزائر، ص182.

والجمال، كما صنعوا المخارز والإبر والسكاكين من عظام الحيوانات، واستغلوا بيض النعام كأكواب وقوارير، أما القشور المهشمة فقد صنعوا منها بعض الحلي للزينة[1].

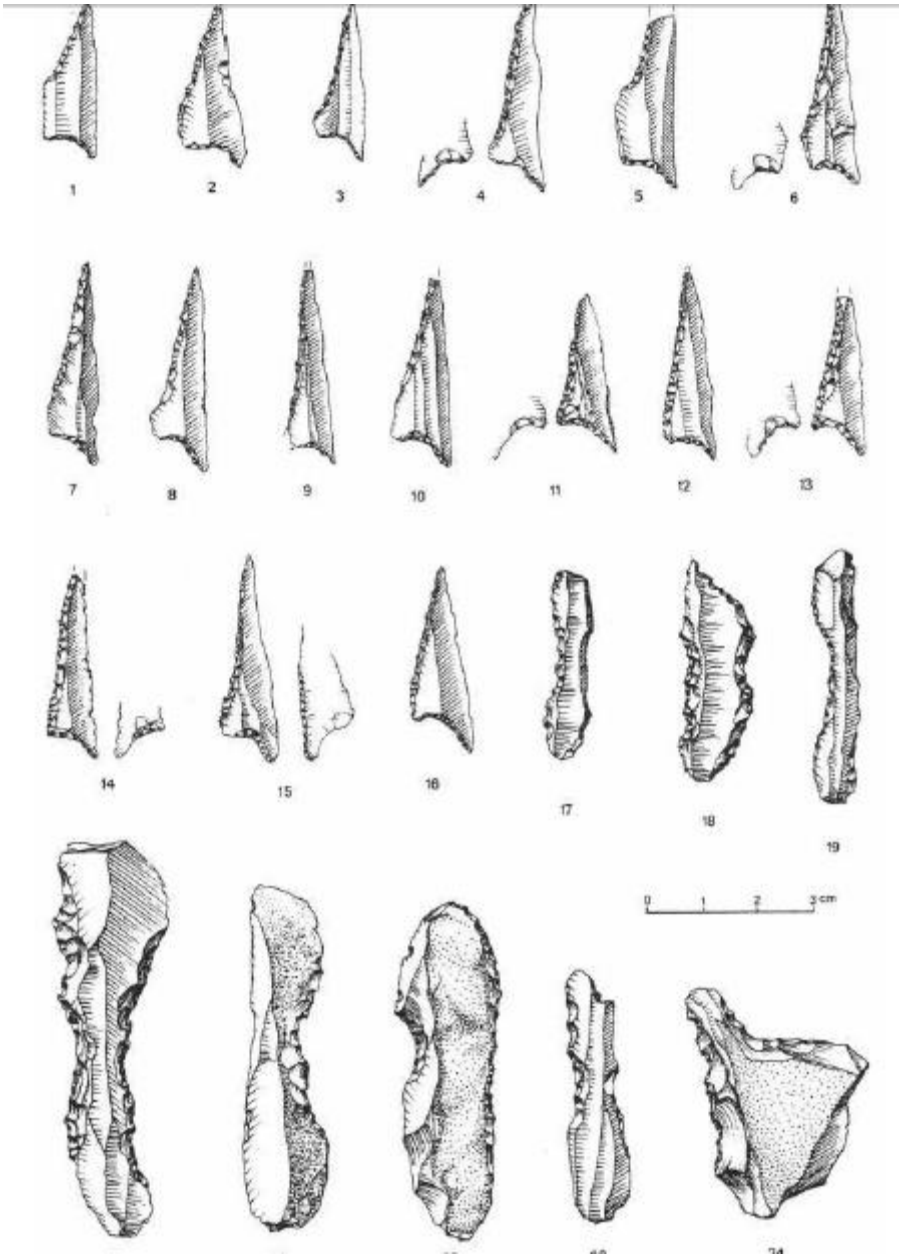

الشكل (9): أدوات حجرية قفصية

D. Grebenart, op.cit, p1764.

[1] - قراقب عبد الرزاق، مطيمط علي، المرجع السابق، ص38.

وعموما يقسم الباحث فوفري (Vaufrey) الحضارة القفصية بناء على تقنية صناعة أدواتها إلى مرحلتين اثنتين هما:

أ- القفصية النموذجية (Capsien typique): وتؤرخ بحوالي 6600 سنة قبل الميلاد، تتميز بمحدودية المكان بحيث انحصرت في منطقتي قفصة وتبسة، وتتميز أدواتها بالخشونة والطول وقلة التشذيب، كما تعتبر فقيرة من حيث أدواتها القزمية ذات اللمسات الهندسية، وتتكون معظم أدواتها من المحكات والنصال المضروبة الظهر، أما شفراتها فعبارة عن شظايا ونصال عريضة مزودة بحافة، لكن أدواتها القزمية فنادرة جدا. أما أدواتها العظمية فإنها قليلة وتتمثل في المخارز[1].

ب- القفصية العليا (Capsien supérieur): وقد انتشرت في مساحة أكبر من مساحة القفصية النموذجية ولفترة أطول بدأت من الألف الثامنة إلى غاية الألف الخامسة قبل الميلاد، إذ شملت الهضاب العليا الجزائرية بسطيف وقسنطينة ووصلت لمنطقة تيارت غربا، أما في تونس فإنها تركزت بالخصوص في قفصة والقصرين وسيدي بوزيد[2]، ويبدو أنها وصل إشعاعها إلى شمال الصحراء، وتتمثل أدواتها في الصناعة القزمية ذات الأشكال الهندسية المصنوعة غالبا من الحجارة الصوانية، وكذلك في الأزاميل الدقيقة والنصال المثلثة والمستديرة وأشباه المنحرفة والشفرات[3]. وينفرد القفصيون بصناعة بعض الأدوات من العظام البشرية، ولا نعرف على وجه التأكيد الغرض الحقيقي منها هل لاستعمالها لأغراض نفعية أم لدوافع دينية[4].

5- المعتقدات الدينية لدى القفصيين: من أهم معتقدات القفصيين تشويه الأضراس، إذ كانت تقلع القواطع بطريقة تختلف عن سابقيهم الإيبرو مغاربة، وذلك نزع القواطع عند جنس الأنثى، والتشويه يمس الفك السفلي فقط، كما كانوا يقطعون الجماجم ويستخدموها كأقنعة[5]، أما فيما يتعلق بالدفن، فيبدو أن القفصيين قد كانوا يدفنون موتاهم مثل الإيبرو مغاربة، إذ كانت تُطوى وتسند الجثة على الجنب بصفة عامة، ووجدت أحيانا عظام بشرية متفرقة من الممكن أنهم كانوا يقومون تركها مهملة للحيوانات المفترسة والكواسر وبعد زوال لحمها يعيدون جمع عظامها ودفنها، كما كانوا يصبغون الجثة بمادة المغرة[6] لتكتسي اللون الأحمر الدال على سريان الدم وبالتالي الخلود في العالم الآخر على غرار الكثير من الشعوب القديمة.

---

[1] - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص ص97-100.

[2] - قراقب عبد الرزاق، مطيمط علي، المرجع السابق، ص38.

[3] - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص ص100-102.

[4] - قراقب عبد الرزاق، مطيمط علي، المرجع السابق، ص39.

[5] - محمد سحنوني، المرجع السابق، ص124-125.

[6] - كلود براهيمي، المرجع السابق، ص88.

6- الفن عند القفصيين: عرف الفن ازدهارا كبيرا خلال الحضارة القفصية ويتجلى ذلك في عدة مظاهر منها صناعة الحلي ليتزينوا بها، إذ استغلوا استغلوا بيض النعام المهشم وصنعوا منه عقودا، كما زخرفوا البيض بخطوط هندسية مائلة أو متوازية ورسوم حيوانات،[1] كما استخدم الفنان القفصي المغرة الحمراء في طلي الوجه الداخلي للقطعة، ثم رسم الحيوان كالبقر والماعز أو طائر، كما رسموا كذلك صور بشرية أو حيوانية أو هندسية على الجوانب الصخرية والحجارة الكبيرة[2]، كما اهتم القفصيون بنحت تماثيل صغيرة لبشر وحيوانات، منها ثلاثون منحوتة بموقع المكتا بالقرب من قفصة أغلبها مصنوع من الكلس الناعم، فضلا عن الأقنعة البشرية ذات الدلالات الدينية[3].

المحاضرة (10): الإنسان المشتوي

1-تمهيد: عرفت منطقة شمال إفريقيا كغيرها من مختلف مناطق العالم ظهور الإنسان العاقل العاقل: **(**Homo Sapiens Sapiens**)**، كما يُعرف أيضا باسم كرومانيون شمال إفريقيا (Cromagnoïdes nord-africains) ويضم المشتويين (Mechtoïdes) أوائل المتوسطيين (Protoméditerranéens) الذي ظهر مع نهاية عصر البلايستوسين وبدايات عصر الهولوسين ما بين 21000 ق.م و7000 قبل الحاضر، وعاشوا في مساحة جغرافية واسعة من شمال إفريقيا والصحراء الشرقية والجنوبية، ومن أهمها: إنسان مشتى العربي صاحب الحضارة الإيبرو مغربية، والإنسان ما قبل المتوسطي **(**أوائل المتوسطيين**)** صاحب الحضارة القفصية[4].

2- **مميزات الإنسان المشتوي:** تعتبر المواقع الايبرو مغربية من أغنى مواقع شمال إفريقيا من حيث عدد البقايا العظمية البشرية التي يصل عددها إلى حوالي 500 فرد، وينسب إنسان مشتى العربي إلى الموقع الذي عثر فيه لأول مرة وهي مشتى العربي ما بين سطيف وقسنطينة، ويتميز بقامة تصل 1.74 م عند الرجال، و1.63 عند النساء، ويمثل حجم الجمجمة إلى معدل 1650 سم^3، ويبدو أنه قوي البنية، عريض الكتفين، ومتوسط الورك، له سواعد وسيقان طويلة مقارنة مع العضد والفخذ واليد، والأرجل طويلة نوعا ما[5]، أما الجمجمة ذات شكل بيضوي أو خماسي، وهي ذات طول أكثر من العرض في نموذج أفالو وتافوغالت، بينما عرضها أكثر من طولها في نموذج كلوموناطة، أما الجبهة فقليلة البروز ومتراجعة نسبيا، وأقواس الحواجب متصلة. أما الوجه فيتميز بالقصر والعرض. أما محاجر العيون فمستطيلة الشكل

---

[1] - قراقب عبد الرزاق، مطيمط علي، المرجع السابق، ص39.

[2] - كلود براهيمي، المرجع السابق، ص ص90-91.

[3] – حاشي سليمان، المرجع السابق، ص ص141-147.

[4]- Olivier DUTOUR O , l'homme de Mechta Afalou au Maghreb et au Sahara aspects paléoanthropologiques et paléocologiques , l'homme maghrébin et son environnment depuis 100000 ans, C.N.R.P.A.H, Alger, 2001, p131

[5]- سليمان حاشي، المرجع السابق، ص29.

ومتباعدة، والذقن ببارز جدا، أما زاويتا الفك الأسفل الداخلية والخارجية فكثيرا ما تكون ما تكونان منحرفتين[1]. ويمتاز بأنف طويل ورقيق، وتبدو القمم تحت الخشائية كبيرة أما النتوء الوجني أو العارضي ضخم، أما سقف خده واسع وقوس من الأسنان المتباعدة أو المتنافرة **(انظر الشكل10)**[2].

الشكل (10): جمجمة لرجل وامرأة لإنسان مشتى العربي

G. Camps, « Ibéromaurusien », p3579.

3-أصول الإنسان المشتوي: تعددت الآراء التي تحدثت عن الإنسان المشتوي ما بين من يرى في الأصول الأجنبية ومناطق مختلفة، وبين من يرى في الأصول المحلية، وسنوجز هذه الآراء في ثلاث فرضيات، وهي:

أ- الأصول الأوربية: يعتقد بعض الباحثين أن أصول الإنسان المشتوي أوربية وبالتحديد من إيطاليا، حيث جاء إلى منطقة شمال إفريقيا عبر إسبانيا على -الرغم من عدم وجوده في شبه الجزيرة الإيبيرية-

[1] - كلود براهيمي، المرجع السابق، ص77.

[2] - سليمان حاشي، المرجع السابق، ص29.

بعد أن قطع مضيق جبل طارق[1]، لينتشر على السواحل المغاربية وجزر الكناري، ولهذا نجد القونشيون السكان الأوائل لهذه الجزر مازالوا يحملون لحد الآن الكثير من خصائصهم الجسمانية، قبل أن يختلطوا مع المحتلين الإسبان والمهاجرين[2].

ب- الأصول المشرقية: يرى بعض الباحثين أن أصول المشتويين مشرقية وبالضبط من جبل قفزة بفلسطين، بحيث ينحدر من الإنسان العاقل الفلسطيني ذو الخصائص الحديثة (قامة مستقيمة، جمجمة ضخمة، عظم قذالي مستدير، محاجر العينين مستطيل)، بحيث انحدر من هذا الإنسان سلالتان: إنسان كرومانيون واتجه نحو أوربا، وسلالة الإنسان المشتوى وسكن شمال إفريقيا. غير أن سليمان حاشي يفند هذه الفرضية باعتبار أن إنسان فلسطين أصحاب الحضارة **النطوفية**[3] ينتمون لجنس ما قبل متوسطي ويختلفون في ملامحهم الجسمانية عن المشتويين[4].

ويعتقد البعض أن أصل المشتويين يعود لوادي النيل، وبالضبط لشمال السودان لتشابههم مع ساكنة هذه المنطقة، غير أن هؤلاء يبدو أنهم أحدث من المشتويين، بل من الممكن أن تكون الهجرة عكسية، أن المشتويين قد هاجروا من شمال إفريقيا إلى شمال السودان بحثا حياة أفضل قريبة من الوديان، وهذا ما وجوده في وادي النيل، وهناك من يعتقد أن أصولهم تعود لجنوب مصر[5].

ج- الأصول المحلية: يبدو أن الأصول المحلية للمشتويين هي أقرب للحقيقة لا سيما بعد الاكتشافات الأثرية الكثيرة، إذ عثر على عدة بقايا عظمية بشيرية تؤكد هذا الاتجاه، من بينها البقايا العظمية التي اكتشفت في دار السلطان وجبل ارحود، فهذا الأخير يتشابه مع الإنسان المشتوي في بعض الخصائص كبروز تجاويف الوجه ومحاجر العينين المستطيلة، وحافة الأنف والجبهة الواقعة تحت منتصف المحاجر

---

[1] - Aumassip (G.).. *4. L'homme de Mechta el-Arbi, dernier descendant de l'Atlanthrope ?*

[2] – كامبس غابريال، البربر ذاكرة وهوية، تر: عبد الرحيم حزل، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014، ص74.

[3] - تنسب الحضارة الناطوفية لموقع وادي الناطوف شمال غربي القدس قرب كهف شقبة بفلسطين حيث اكتشفت عالمة الآثار دوروثي جارود لأول مرة سنة 1928 على أثارهم التي تشمل مرحلة جمع الطعام والمتمثلة في أثار الصيد كرؤوس السهام وأدوات حجرية من جهة وعلى أثار بداية الانتقال نحو الاستقرار من ناحية أخرى أي إنتاج الطعام من خلال العثور على مناجل وظيفتها دون شك حصاد الحبوب وعلى عظام حيوانات مدجنة ممثلة أساسا في عظام كلاب ومن مواقعها عين ملاحة شمال غربي بحيرة الحولة التي عثر بها على أثار قرى تتميز بمنازلها الدائرية المبنية من الحجر وعلى صناعة التماثيل الحيوانية والبشرية. الناضوري رشيد، المرجع السابق، ص ص 113-115.

[4]- سليمان حاشي، المرجع السابق، ص32.

[5] - Aumassip (G.).. *4. L'homme de Mechta el-Arbi, dernier descendant de l'Atlanthrope ?*

والفكوك المتقاطعة، ومن هنا فإن إنسان دار السلطان يشكل همزة وصل بين جبل إرحود والإنسان المشتوي[1].

4- تطور الإنسان المشتوي: يميز المختصون أربعة أنماط من سلالة الإنسان المشتوي تختلف عن بعضها في بعض المواصفات الجسمية، وذلك بعد فحص ودراسة الكثير من البقايا العظمية لها، وهي كالآتي:

أ- النمط الأول: يتميز هذا النمط بجمجمة ضخمة وغير متناسقة مع الوجه وأكثر طولا، وصاقورة منخفضة، وحاجبين مرتفعين وهو الأكثر قدما وقليل الحضور، وهو في طريق الانقراض[2].

ب- النمط الثاني: يتميز هذا النوع بجمجمة صغيرة الحجم، عالية وضيقة، ومستطيلة الشكل، حاجب قليل البروز، وله وجه طويل وضيق، كما يمتاز بهيكل هزيل جدا[3].

ج- النمط الثالث: يتميز هذا النوع بقصر الرأس الذي له قمة جمجمة معتدلة الارتفاع وجبهة مستقيمة وعالية، أما محاجر العينين فقليلة الارتفاع وجبهة مستقيمة وعالية، ومحاجر العينين قليلة الارتفاع، كما يمتاز بأقواس الحاجب قوية ووجه صغير وقصير.

د- النمط الرابع: يتميز هذا النوع برأس متوسط أو مستطيل، ويبدو خشنا، أما قمة جماجمهم مسطحة، وأقواس حواجبهم متطورة، وله وجوه واسعة[4].

ونشير في الأخير، أن المشتويين لم ينقرضوا نهائيا بانتهاء الحضارة الإيبرو مغربية، حيث تواجدوا خلال الحضارة القفصية والعصر الحجري الحديث من خلال بعض المواقع مثل موقع حاسي الأبيض في مالي، لكن إلى جانب الإنسان المتوسطي، وحتى مرحلة فجر التاريخ والفترة البونية، وكذلك العصر الروماني، ومازال لهم تأثير على ساكنة جزر الكناري، غير أننا لا نستطيع أن نضع هؤلاء في أسلاف البربر مباشرة[5].

---

[1]- سليمان حاشي، المرجع السابق، ص ص32-33.

[2]- محمد سحنوني، المرجع السابق، ص68.

[3] - سليمان حاشي، المرجع السابق، ص31.

[4] - المرجع نفسه، ص31.

[5] - كامبس غابريال، المرجع السابق، ص ص76-77.

المحاضرة (11) الإنسان فجر متوسطي (méditerranéen)

1- **التعريف بالإنسان فجر متوسطي:** ظهر خلال الألف الثامنة قبل الميلاد في وسط غربي تونس وشرق الجزائر نوع جديد من الإنسان العاقل عُرف لدى المختصين باسم الإنسان فجر متوسطي وبأوائل المتوسطيين، وهو صاحب الحضارة القفصية ثاني وآخر حضارات العصر الحجري القديم المتأخر في شمال إفريقيا، ويتميز ببعض خصائص السكان المتوسطيين الحاليين، ومن أهم صفاته الجسمانية أنه طويل القامة 1.75 م عند الرجال، و1.62م عند النساء في موقع مجاز اثنان، وله جمجمة مستطيلة أكثر تناسقا من جمجمة الإنسان المشتوي، أما محاجره فيغلب عليها شكل المربع وأنفه أضيق، والنتوءات العظمية غير بارزة، وزاوية الفك ليست منحرفة إلى الأمام، وهذه خاصية كانت شديدة الشيوع، بل كانت خاصية ثابتة لدى إنسان مشتى العربي[1]. بينما الوجه أكثر استقامة واستدارة، وجبهته أكثر ارتفاعا، والعظم الفاصل بين محجري العين فيه قليل البروز، والفكان أقل قوة[2]. ويبلغ حجم المخ عنده 1530 سم[3]، ومقاسات الأضراس كبيرة، وعلى العموم عظام هذا النوع البشري تتميز بمقاسات متوسطة وضخامة معتدلة إذا قارناها بإنسان مشتى العربي[3].

2- أنواعه: ويقسم بعض المختصين الإنسان الفجر متوسطي إلى نوعين هما:

أ- عنصر مستطيل الرأس ويمتاز بوجه طويل وصاقورة مرتفعة وقامة طويلة والأنثى نحيفة، ويمثله إنسان مجاز2 .

ب- عنصر مستطيل الرأس ويمتاز بوجه متوسط، وصاقورة منخفضة، وله قامة طويلة والوجه بارز[4]. وهو أقل انتشارا من النمط الأول ويمثله إنسان منطقة عين الذكارة القريبة من مدينة تبسة **(انظر الشكل11)**[5].

ويعتقد بعض الباحثين أن المشتويين وأوائل المتوسطيين كانوا يعيشون في وقت واحد، غير أن الجنس الأول أقدم من القفصيين، ومع بداية العصر الحجري الحديث انتشر أوائل المتوسطيين في كامل مناطق شمال إفريقيا، بينما اتّجه المشتويون غربا، وانعزلوا في الجبال والكهوف، لينتهي بهم المطاف

[1] – كامبس غابريال، المرجع السابق، ص77.

[2]- كلود براهيمي، المرجع السابق، ص87.

[3]- كامبس غابريال، المرجع السابق، ص78.

[4]- محمد سحنوني، المرجع السابق، ص69.

[5]- كامبس غابريال، المرجع السابق، ص78.

للذهاب لجزر الكناري. ومن الممكن أن يكونوا من أصل مشترك واحد لا سيما وأنهم يتشابهون في بعض المظاهر الحضارية كطقوس الدفن[1].

ويستبعد كامبس أن يكون الإنسان فجر متوسطي منحدرا من إنسان مشتوى العربي، غير أنه سيخلفه في منطقة شمال إفريقيا بالتدريج، ففي العصر الحجري الحديث كان الإنسان المشتوي تكثر أعداده في الجهة الغربية، أما الإنسان فجر متوسطي فكان يتواجد أكثر في الجهة الشرقية[2].

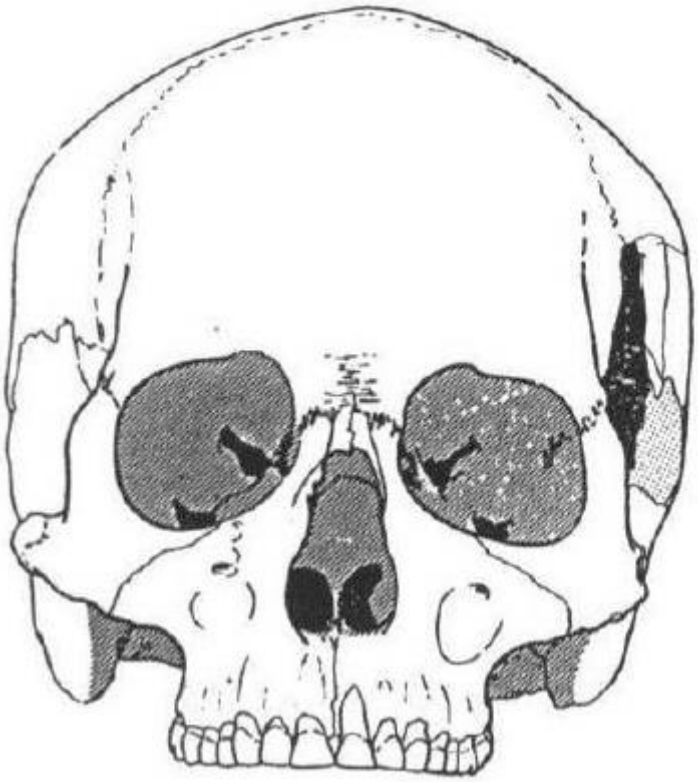

الشكل (11): جمجمة للإنسان المتوسطي (عين الدكارة)

Aumassip (G.).. *6. Hommes de Mechta el-Arbi et hommes protoméditerranéens*

[1] – لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص ص141–142.

[2] - كامبس غابريال، المرجع السابق، ص ص77–78.

المحاضرة (12): حضارات العصر الحجري الحديث

بعد أن عاش الإنسان خلال العصر الحجري القديم مئات الآلاف من السنين متنقلا من مكان إلى آخر بحثا عن الغذاء المعتمد على صيد الطرائد، واقتناص الأسماك، وجمع الثمار البرية، تمكن من الاستقرار، وبدأ في إنتاج غذائه، من خلال ممارسته للزراعة، وتدجين بعض الحيوانات، وهذا ما يعرف عند بعض المختصين بثورة إنتاج الطعام، وكذلك بالعصر الحجري الحديث[1]، ويُطلق الأنجليزي غوردن تشايلد على هذا العصر تسمية **الثورة النيوليتية**، ويُقصد به ذلك الانقلاب المفاجئ والسريع الذي أطاح بنمط اقتصادي– اجتماعي قديم، ليأتي بنمط جديد، تمثّل في مجموعة من الإبداعات الجديدة في مختلف الميادين كالقرى الزراعية تتكون من مجموعة من المساكن وتخصيص أمكاني لدفن الموتى، وكان هناك نظام اجتماعي راقي[2].

وقد اختلفت بداية هذا العصر من مكان إلى آخر، ويُقسم في منطقة شمال إفريقيا والصحراء إلى ثلاثة أقسام **(انظر خريطة3)** وهي:

أولا: العصر الحجري الحديث الصحراوي السوداني: ويغطي المناطق الصحراوية وخاصة الصحراء الجزائرية ويشمل المرتفعات الجبلية الأهقار والطاسيلي، وقد بدأ العصر الحجري الحديث في هذه المنطقة منذ الألف السابعة قبل الميلاد، ومن خصائصه أن المجموعات البشرية التي تمثله تنتمي من الناحية العرقية إلى أصول زنجية، وحينها كانت تتميز الصحراء بمناخ رطب مقارنة بالفترة التاريخية سمح بتوفر بتواجد مسطحات كبيرة وغطاء نباتي سمح بتوفر قطعان حيوانات عديدة[3]، وقد أطلق عليه الباحثون في البداية اسم "النيوليتي الصحراوي ذو الأصول السودانية" لأن الأدوات التقطت أول مرة في موقع شهيناب قرب الخرطوم في السودان ومعتقدين أن أصوله الأولى تعود للسودان وأنه أثر على المناطق الصحراوية الأخرى، غير أن كامبس بعد سلسلة من الأبحاث بموقع أمكني بالأهقار وتيويوين بأدار ومواقع صحراوية أثبت أن استقرار الإنسان في هذه المواقع كانت سابقة لموقع شهيناب وبالتالي لم تكن متأثرة به[4]. ومن مميزاته:

---

[1] – العصر الحجري الحديث أو النيوليتي (néolithique) وهي كلمة يونانية تتركب من شقين: نيوس وتعني جديد أو حديث، وليتوس وتعني الحجر، ويعتبر جون لوبوك، أول من استعمل هذا المصطلح سنة 1865. للمزيد انظر: سوتن (ج.أ.غ)، المرجع، ص446.

[2] – عزيز طارق ساحد، الجزائر، ص196.

[3] - قراقب عبد الرزاق، مطيمط علي، المرجع السابق، ص41.

[4] - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص115.

1- الصناعة الحجرية: صناعاته الحجرية من الصخور البركانية كالبازلت والكوارتز وفقيرة نسبيا وذات صناعة رديئة ومن أهمها: محكات، مخارز، نصال، وعلى رؤوس سهام رديئة جدا، وكذلك حجارة مصقولة ومحززة من الممكن أنها كانت تُستخدم في شحذ وصقل لأدوات العظمية، كما يتميز بكثرة المدقات والمطاحن والرحى المتنوعة المخصصة لسحق الحبوب[1].

2- الصناعة العظمية: يتميز عموما بغناه بالأدوات العظمية كالمخارز والخناجر والمصاقل[2]، فقد عُثر في موقع أمكني بالصحراء الوسطى على خنجر جميل ومزخرف، وعُثر في موقع منيت على صنارة وقطعة خطاف صيد من عظم، مما يشير إلى ممارسة السكان لنشاط صيد الحيوانات، أما استعمال بيض النعام فيبدو أنه قد اختفى حيث لم يتم العثور قطعة بيض واحدة مزخرف في موقع أمكني بالصحراء الوسطى[3].

3- الصناعة الفخارية: يتميز بغناه بالأدوات الفخارية التي تكون غالبا مزينة بزخارف متنوعة، فقد تكون مزخرفة بواسطة أصابع اليد أو بمسحة المشط، ثم عن طريق جر الحبل، وفي بعض تكون في شكل خطوط متموجة[4]. أما من حيث شكل فيمكن أن نميز ثلاثة أنواع:

النوع الأول: يتمثل في إناء كبير بفتحة كبيرة، وينتهي جسمه بشارب رقيق.

النوع الثاني: ويتمثل في إناء ذو جانبين مستقيمين بقاعدة نصف دائرية يصل قطرها أحيانا إلى 50سم.

النوع الثالث: وهو عبارة عن إسطوانة قاعدتها نصف دائرية وقليل الحجم مقارنة بالنوعين الأولين[5].

ثانيا: العصر الحجري الحديث ذو التقاليد القفصية: يعتبر الأستاذ فوفري أول من أطلق مصطلح "النيوليتي ذو التقاليد القفصية" وذلك سنة 1933، وينتشر في المناطق الداخلية التي شهدت إشعاع الحضارة القفصية، كمنطقة الأوراس كموقعي الداموس الأحمر وكهف كابيليتي وفي عدة مناطق صحراوية كعين القطارة وحاسي المويلح ومواقع أخرى بمنطقة ورقلة، وتؤرخ هذه المواقع بالألف الرابعة قبل الميلاد، وتشبه أدواتها الأدوات القفصية وتتميز بقلة الفخار، والأواني مخروطية الشكل وزخرفتها باستعمال المشط. ومن المواقع الأخرى حاسي مندة وزميلة البركة وواد الزقاق وتؤرخ ما بين 5700 و4800 ق.م وتتميز

---

[1] - كلود براهيمي، المرجع السابق، ص ص118-119.

[2] - محمد سحنوني، المرجع السابق، ص133.

[3] - كلود براهيمي، المرجع السابق، ص119.

[4] - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص121.

[5] - محمد سحنوني، المرجع السابق، ص133.

صناعتها الحجرية بالنصيلات ذات الظهر والأدوات القزمية، كما تتميز بندرة البقايا الفخارية وكثرة استعمال بيض النعام[1]. وعلى العموم تتميز هذه المنطقة بما يلي:

1-الصناعة الحجرية: تتميز أدواته الحجرية أنها قريبة الصنع من الأدوات ذات التقنية القفصية، مما دفع ببعض الباحثين للقول بأن الانتقال من الحضارة القفصية إلى الحضارة النيوليتية كان متداخلا، ومن الصعب الفصل بينهما، ومن أهم صناعاته نذكر: رؤوس السهام والفؤوس المصقولة والشفرات الدقيقة والأزاميل ذات الزاوية والمذنبات الكبيرة والنصال والنصيلات ذات الظهر والمحكات والحزات والأدوات القزمية[2]، والمطاحن والمهارس والرحى، إلا أن هذه الأدوات الأخيرة لا تدل بشكل مؤكد على ممارسة الإنسان للزراعة، لكنها تشير إلى استغلال النباتات والحبوب البرية كغذاء هام للسكان[3].

2- الصناعة الفخارية: تتميز أوانيها بشكلها المخروطي وتحمل مقابض مستديرة لها فتحات كبيرة وعجينتها هشة وقليلة الاحتراق التي برزت منذ منتصف الألف الخامس قبل الميلاد، غير أن بعض مواقع هذا النطاق لا تحتوي على الفخار، ومن أهم هذه المواقع نذكر: وادي مية بضواحي ورقلة وتُؤرخ ما بين 4720 و4200 ق.م[4].

3- بيض النعام: عرفت هذه المنطقة استغلال بيض النعام بعد استهلاكه لأغراض أخرى حيث نافس استعمال الأواني الفخارية، حيث كانت البيضة تثقب وتفرغ ثم تستعمل كإناء لحفظ بعض السوائل، فقد عُثر مثلا في موقع المويلح بورقلة بطبقة نيوليتية على مخزن يتكون من إحدى عشرة قارورة، لكن بيض النعام قد أصبح منذ العصر القفصي مادة ضرورية أولية لصناعة قطع العقود والأنواط والأساور. كما عُثر على قطع من قشور بيض النعام مزخرفة بأشكال هندسية مثلما هو الحال في موقع الداموس الأحمر. كما استغلوا عظام الحيوانات في صناعة بعض الأدوات كالمخارز والسكاكين مختلفة الأحجام والأشكال[5].

ثالثا: العصر الحجري الحديث المتوسطي: ويشمل هذا النطاق المنطقة الساحلية المغاربية، حيث عرف تأثيرات من الضفة المتوسطية الشمالية، غربا عبر مضيق جبل طارق، وشرقا عبر جزيرة صقلية، وتتجلى تلك التأثيرات في الفخار ذي النمط الكارديالي المنتشر في جنوب غربي أوربا والذي انتشر في المغرب الأقصى في موقع أشكار قرب طنجة وموقع غار كحال قرب سبتة، والذي يتميز بالشكل شبه الدائري ذو

---

[1] - محمد سحنوني، المرجع السابق، ص ص130-131.

[2] - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص ص124-125.

[3] - براهيمي، المرجع السابق، ص122.

[4] - محمد سحنوني، المرجع السابق، ص131.

[5] - براهيمي، المرجع السابق، ص ص121-122.

الفتحة الكبيرة مع اختناق، وشكل آخر ذو القاعدة المخروطية، أما الزخارف فيمكن تلخيصها في ثلاثة أنواع:

– في زخارف تغطي أكبر مساحة ممكنة للآنية برسومات حزامية؛

– زخارف متناوبة ومتجاورة؛

– زخارف متنوعة وذلك بإضافة أحزمة وحبات من الصلصال[1].

أما التأثيرات الشرقية فتتمثل في العثور في شمال تونس وشرقي الجزائر على أدوات مصنوعة من صخور بركانية كحجر السبج (الأوبسيديان) مستورة من الجزر الإيطالية، وهذا يشير إلى وجود علاقات بين المجموعات البشرية المنتمية للعصر الحجري الحديث بين الضفتين الشمالية والجنوبية، كما يدل على امتلاكهم للوسائل اللازمة لممارسة الملاحة[2]. ومن مميزات هذه المنطقة ما يلي:

1–الصناعة الحجرية: تتكون أدواته الحجرية من قطع حجرية دقيقة هندسية الشكل، من بينها رؤوس السهام النادرة وبعض الأدوات الأخرى مثل المكاشط والقطع المحززة[3]، وقلة الأدوات الحجرية ذات التحزيزات والمسننات والمحكات، وقلة الفؤوس المصقولة[4].

2–الصناعة الفخارية: تتميز الأواني الفخارية لهذه المنطقة بوجود قاعدة مخروطية الشكل، مع ندرة وجود العنق، وفي حالة وجوده يكون قصيرا وضيقا، كما تحتوي على مقابض متنوعة، أما الزخارف فتحتل الجزء العلوي للآنية مشكلة حزاما لا يتعدى المقابض إلا في حالات استثنائية مثل الزخارف العمودية. ومن أهم أنواع الزخارف: نصف الدائرة والمثلث وشكل الحرف اللاتيني (U)، وأغلب الزخارف تنفذ بواسطة بعض النباتات[5].

---

[1] - محمد سحنوني، المرجع السابق، ص128.

[2]- قلالة نبيل وآخرون، تونس عبر التاريخ، العصور القديمة، الجزء الأول، مركز الدراسات والبحوث، تونس،2007، ص29.

[3]- براهيمي، المرجع السابق، ص122.

[4] - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص137.

[5] - سحنوني، المرجع السابق، ص ص 128–129.

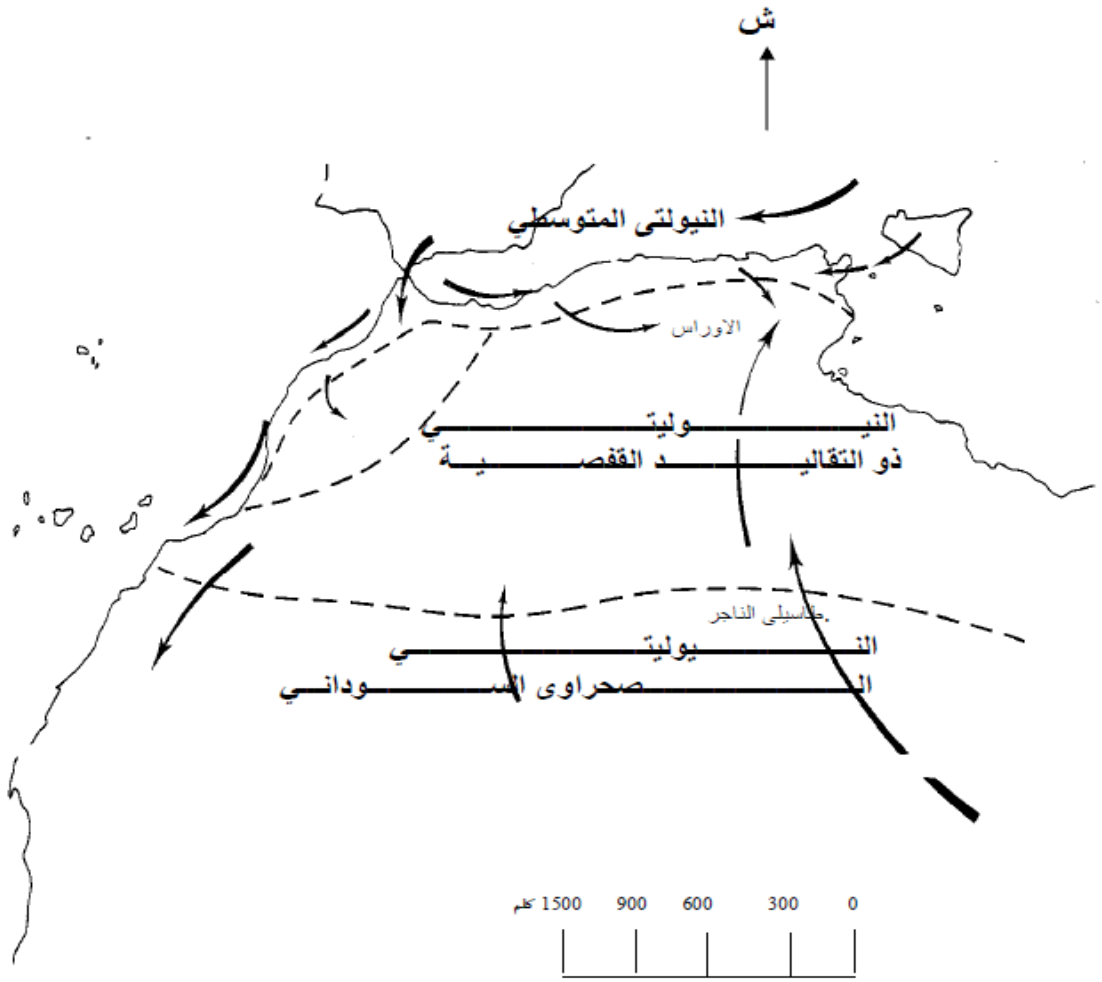

خريطة رقم (3): الأقسام الثلاثة للعصر الحجري الحديث بشمال إفريقيا والصحراء

رشدي جراية، المرجع السابق، ص67.

المحاضرة (13): الفن الصخري الصحراوي

1- بدايات الاهتمام بدراسة الفن الصخري:

تعود أولى البعثات الاستكشافية للفن الصخري في شمال إفريقيا إلى بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، على يد البعثة الاستكشافية العسكرية الفرنسية في منطقة الجنوب الوهراني بقيادة الجنرال كوفينياك (Covaignc) سنة 1848، وفي السنوات الموالية قام بأعمال استكشافية أخرى في منطقة الأطلس الصحراوي وقدمت تقارير عن الرسومات التي رسمت على جبال قصور وعمور، وفي سنة 1850 قام

الباحث الألماني هنري بارث برحلة استكشافية في منطقة الهوقار بالجزائر، وفي فزان بالجنوب الغربي الليبي[1].

وزادت وتيرة البعثات الاستكشافية الأوربية للصحراء مع بداية القرن العشرين، ففي سنة 1909 قام النقيب الفرنسي كورتي باكتشاف رسوم وادي إيسوف ملان، وبعدها بعامين قام فلامند بدراسة منطقة الأطلس الصحراوي، وفي سنة 1925 قام ريقاس بسلسلة أبحاث هامة بمنطقة توات والعرق الشرقي الكبير، وبعدها اتجه نحو منطقة الهوقار ووادي جرات لدراسة نقوشها الصخرية ما بين 1933 و1935، وبعد الحرب العالمية الثانية قام القس بروي رفقه تلميذه هنري لوت بمجموعة من الاكتشافات في منطقة الصحراء الوسطى، وقاما بنسخ العديد من الرسوم عُرضت سنة 1952 في ملتقى ما قبل التاريخ بالجزائر العاصمة[2].

وتعتبر أعمال الباحث الفرنسي هنري لوت (Henri Lhote) من أولى الأبحاث المتخصصة في الفن الصخري وأفضلها، فقد قاد بعثة استكشافية سنة 1956 في منطقة الصحراء الوسطى تحت رعاية مركز البحث لدراسة ما قبل التاريخ بالجزائر (C.R.A.P.E)، وكُللت مجهوداته في استكشاف عدة مشاهد جمعها في كتابين[3] تحت عنوان:

- les gravures rupestres de l'oued Djerat (Tassili N-Ajjer), tome1, 2, mémoires du centre de recherches Anthropologiques préhistoriques et ethnographiques , Alger, 1976.

ومن الدراسات المتخصصة والقيمة تلك التي كانت تحت إشراف مركز البحث في الأنثروبولوجيا وما قبل التاريخ برئاسة الباحث غابريال كامبس (G.Camps) في الصحراء الجزائرية كمنطقة الأتاكور والتي دُرست من طرف الباحث جون بول باتر، وموقع أمكني من طرف كامبس نفسه. وعند تأسيس الحضيرة الوطنية للهوقار سنة 1987 اهتمت بحماية الموارد النباتية والحيوانية والمناخ فضلا عن دراسة الفن الصخري في الصحراء، كما قام بعض الباحثين المهتمين بالفن الصخري الصحراوي بتأسيس جمعية أُطلق عليها اسم "**جمعية أصدقاء الفن الصخري الصحراوي**" ويتم نشرها في مجلة "الصحراء" التي تصدر في ألمانيا[4].

---

[1] - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص ص149-150.

[2] – بن بوزيد لخضر، الطاسيلي ناجر في ما قبل التاريخ: المعتقدات والفن الصخري، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، ص ص178-179.

[3] - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص150.

[4] - بن بوزيد لخضر، الطاسيلي ناجر، ص ص181-182.

كما تخصّص الكثير من الباحثين الجزائريين في دراسة الفن الصخري نذكر منهم: حدوش عبد القادر[1]، حدادو يوغرطة[2]، ونادية بحرة[3]، ومليكة حشيد[4]، وتتوزع النقوش والرسوم الصخرية في المناطق التالية:

-المغرب الأقصى: من أهم مواقعها نذكر: تيشوكان بالأطلس الكبير، ووادي درعة...

- منطقة الجنوب الوهراني: ومن أهم مواقعها: نذكر : تيوت، مغرار التحتاني، الريشة، سفيفيسة.

- منطقة الأطلس الصحراوي: ومن أهم مواقعها نذكر: بوعالم، برزينة، أفلو، جاتو، جبل عمور، غارة الطالب، غويرة بن سلول، عين الناقة، بوبكر، مردوفة...[5].

- منطقة الشرق القسنطيني: ومن أهم مواقعها نذكر: عين رقادة، خنقة الحجر، كاف لمساورة[6].

- الطاسيلي ناجر: صفار، جبارن، تامريت، تين زمياتين، وادي جرا.

- الهوقار: تيت، أقنا، يوفغلال، تين ترابين...[7]

2- مراحل الفن الصخري: وقد قسم المختصون الفن الصخرى إلى مراحل حسب المواضيع التي قدمها وحسب ظهور معينة أو اختفائها، وعموما تقسم لأربعة مراحل رئيسية هي:

أ- مرحلة الجواميس (bubaline): كما تُعرف أيضا بمرحلة **الصيادين**، وكذلك بالمرحلة **الطبيعية**، وتميزت بنقوشها الرائعة ذات الأسلوب الواقعي، وبحيواناتها الضخمة، وقد نُقشت بأحجام كبيرة وبواقعية باهرة، وبأبعاد متناهية في الكبر والصغر، فمثلا زرافة من منطقة وادي جرات تتعدى قامتها ستة أمتار، في حين نقش وحيد القرن بمنطقة تين أفلفين لا يتجاوز سبعين سنتيمترا[8]، وتُؤرّخ بالألف السادسة قبل الميلاد السادسة قبل الميلاد، حيث اعتمد الإنسان في هذه المرحلة على صيد الحيوانات البرية والأسماك والتقاط بعض النباتات البرية، ولم يعرف الإنسان بعد تدجين الحيوان ما عدا الكلب الذي تعود بدايات تدجينه إلى العصر الحجري القديم الأعلى واستعان به في عمليات الصيد وهذا ما تشير إليه عدة رسوم صخرية، ومن أهم الحيوانات التي برزت خلال هذه المرحلة: الجاموس الضخمة ذات القرون الطويلة،

---

[1]- حدوش عبدالقادر، الآهقار المركزي والجنوبي في فجر التاريخ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في آثار ماقبل التاريخ، جامعة الجزائر، 2008\2009.

[2] - حدادو يوغرطة، أهم مشاهد الحيوانات الطبيعية الكبرى في محطات النقوش الصخرية للأطلس الصحراوي، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، 2005-2006.

[3] - بحرة نادية، محاولة دراسة تحليلية للفن الصخري بمنطقة أدمر، رسالة ماجستير في ما قبل التاريخ، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2005-2006.

[4] - Hachid (M.), les premiers berbères entre Méditerranée, Tassili et Nil, édisud, 2000.

[5] - حدادو يوغرطة، المرجع السابق، ص ص23-25.

[6] - كلود براهيمي، المرجع السابق، ص124.

[7] - عزيز طارق ساحد، الجزائر، ص220.

[8] - صالح عبد صادوق، الفن الصخري في شمال إفريقيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص15.

والأبقار البرية، الفيلة، وحيدات القرن، الزرافات، الأسد، والتماسيح، وكانت أغلب المشاهد تتمحور حول الصيد باعتباره النشاط الاقتصادي الأساسي للسكان[1]. وتبدو أجسام سكان هذه المرحلة ضخمة ومتثاقلة، وتشبه ملامح وجوههم الملامح الأوربية بشعورهم الطويلة والمسدولة ولحيهم الكثيفة الحادة، وكان أغلبهم يرسمون عراة، وبرز بعضهم بأقنعة ذات أشكال حيوانية لكلاب وقطط وطيور وثياتل[2].

ب- مرحلة الرعاة: كما تُعرف بمرحلة **البقريات** (bovidien)، وقد سُميت بهذا الاسم لسيطرة نقوش ورسوم الأبقار والحياة الرعوية مما يدل على توصل الإنسان إلى مرحلة التدجين ودخول العصر الحجري الحديث، ويمكن تمييز مختلف أنواع الأبقار التي عاشت في الصحراء في عصور ما قبل التاريخ[3]، وتتميز نقوشها بالألوان الخلابة التي أضفت على الفن جمالا وروعة، واتصفت هذه المرحلة بالأشكال البشرية والحيوانية ذات القامة القصيرة، ومُثّلت بطريقة طبيعية مذهلة تعتبر من خلال مجموعاتها أكبر مدرسة في العالم ذات الطراز الطبيعي، فأصبحت الأشكال ترسم في طور الحركة بأدنى تفاصيلها وبإتقان متناهي، إذ يبدو الفنان في هذه المرحلة متحكما في الرسم والتركيب وتزويق الألوان وتصوير المشاهد بحسب رؤية العين[4].

وأحيانا يصعب على الباحثين التمييز بين مرحلة الجواميس ومرحلة الرعاة وجود بعض الحيوانات في كلا المرحلتين، وتُؤرّخ هذه المرحلة ما بين 4000 و1500 ق.م، وتختلف من موقع إلى آخر، ومن الحيوانات البرية رافقت الأبقار نذكر: الفيلة، وحيد القرن، فرس النهر، الزرافات، الظباء، الغزلان والأسود، النعام، وبعض الرموز كالخطوط اللولبية، ومن الحيوانات المدجنة برزت الأبقار بأنواعها الإفريقية والإيبيرية والبدائية حيث ظهرت وهي تُحلب أو كمطية للتنقل وحمل الأمتعة، وكذلك الماعز والكلب[5]. كما رُسمت هذه الحيوانات وهي مزينة في أجسامها بنقوش هندسية أو بخطوط تربيعية أو بنقاط كبيرة، أو أن أقساما منها مصقولة، وترك الباقي على حالته الطبيعية، أما الألوان فقد اقتصرت على الأبيض والأسود والمزج بينهما، ويجدر الذكر هنا أن النساء في مرحلة الرعاة كنّ لونّ بألوان أكثر نصاعة من تلك التي تلوّن أجسام الرجال والتي هي أكثر دكانة[6].

ج- مرحلة الحصان والعربات: تعود بدايات هذه المرحلة بمنتصف الألف الثانية قبل الميلاد حيث ظهرت صور الحصان والعربات كحيوان مدجن مرسوما ومنقوشا في الكثير من المشاهد بالجنوب الوهراني

---

[1] - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص171.

[2] - صالح عبد صادوق، المرجع السابق، ص ص15-16.

[3]- بن بوزيد لخضر، المرجع السابق، ص105.

[4] - صالح عبد صادوق، المرجع السابق، ص27.

[5] - H. Lhote, G. Camps et G. Souville, « Art rupestre », in *6 | Antilopes – Arzuges*, Aix-en-Provence, Edisud («Volumes », no 6) , 1989, p11.

[6] - صالح عبد صادوق، المرجع السابق، ص ص 28-31.

وبالصحراء الوسطى، وليس مستبعدا أن يكون هذا الحيوان قد عاش في منطقة شمال إفريقيا قبل العصر الحجري الحديث لكن في حالته الوحشية ليظهر من جديد خلال الألف الثانية قبل الميلاد[1]، ولقد كانت رسومات الخيول فيها خشنة رديئة تنقصها الحركة والإتقان، وكان النقش يتم عن طريقة التنقيط الملتصق وذا عرض متوسط، وكان اللون الشائع في تلوينها هو الأصفر الفاتح[2].

فأحيانا يُصوّر الحصان منفردا وأحيانا مركوبا، وكثيرا ما برزت الخيول وهي تجرّ عربات وهذا ما نشاهده في عدّة صور منها عربة يجرّها حصانان ومزوّدة ببضاعة **(انظر الشكل12)**، وربّما تكون هذه العربة الخفيفة لنقل البضائع، ويستبعد كامبس[3] هذا الرأي الأخير، بسبب ضيق المقعد المصنوع من سيور الجلد المضفورة ويرى أنّها مجرد آلة للتباهي أكثر منها وسيلة للاستخدام النفعي على غرار ما كان يفعل الأبطال الإغريق الذين كانوا يركبون العربات عند ذهابهم لميدان المعركة لكنهم يحاربون خصومهم وهم راجلون. وقد أشار هيرودوت[4] إلى تلك العربات في قوله أنّ الغرامنت الذين استوطنوا ما يُعرف حاليا فزّان والطّاسيلي ناجر، كانوا يطاردون الإثيوبيين، وهم راكبون على عرباتهم ذات الأربع جياد، وقال أنّ الليبيين هم من علّم الإغريق كيف يشدّون إلى العربات أربعة جياد.

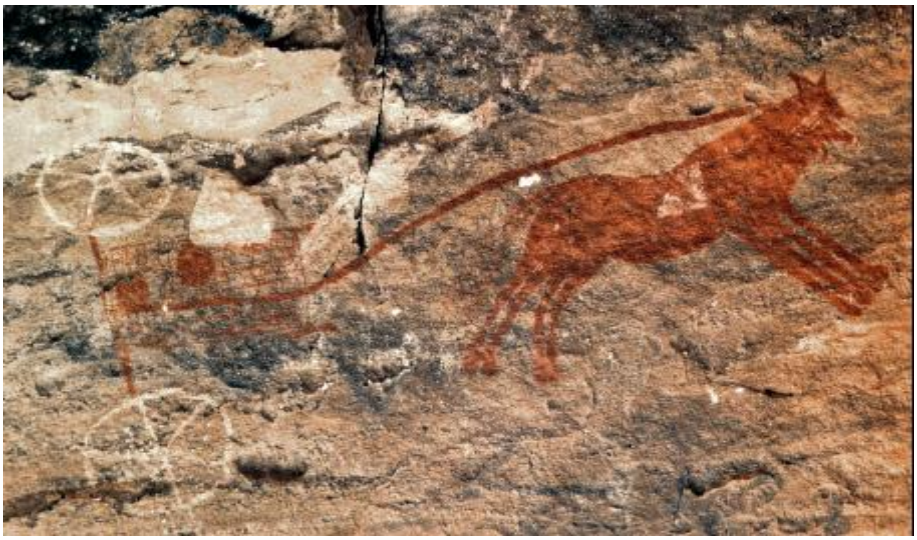

الشكل(12): خيول تجر عربة

- Aumassip (G), les chevaux anciens du Maghreb, p8.

[1]- بن علال رضا، العربات القتالية في المغرب القديم، حوليات المتحف الوطني للآثار القديمة، ع15، 2005، ص ص5-6.

[2]- صالح عبد صادوق، المرجع السابق، ص37.

[3]- كامبس غابريال، البربر، ص101.

[4]- هيرودوت، المصدر السابق، الفقرة183.

ويتميز السكان في هذه الرحلة مقارنة بمرحلة الرعاة ببدلتهم التي أصبحت عبارة عن لباس ضيق على مستوى الخصر ومتسع في أسفله على شكل جرس، كما يتميزون بتركهم لسلاح القوس واستعمالهم الرماح والخناجر المعلقة والتروس، وبكونهم اهتموا بتربية الكلاب[1]. ومن أهم الحيوانات التي برزت صورها خلال مرحلة الحصان والعربات نذكر: الحصان، الأبقار، والماعز، والأغنام، ويلاحظ أن رسوم هذه المرحلة تتميز بالدقة والجمال واستعمال الألوان لاسيما اللون الأحمر[2].

د- مرحلة الجمل: وهي المرحلة الأخيرة من مراحل الرسوم الصخرية وتبدأ بالفترة الميلادية، وقد جاءت رسوم الجمل غير واضحة وبأسلوب متدهور تخلو منه الأناقة والحيوية والتعبير، ويُلاحظ أنّ الجمّالة مسلّحين بالتروس المستديرة والرماح القصيرة وكذلك تزامنها مع الكتابة الليبية البربرية، وانطلاقا من هذه الأسباب والملاحظات يُؤرّخ هنري لوت (Lhote)[3] بداية مرحلة الجمل بالقرن الأول قبل الميلاد ويستمر رسمه إلى غاية الفترة الميلادية. ولقد جاءت أغلب رسوم الجمل وهو مركوب ويقوده صاحبه نحو مكان المعركة ونادرا ما برز وهو يحمل البضائع أو يحمل هودجا **(انظر الشكل13)**[4]. أما الأسلحة التي تميز هذه المرحلة فتمثلت في القوس المدوّر والرماح والسكين المتدلّي على الذراع أو الموجود على الجانب، ورُسمت إلى جانب الأشكال الحيوانية والبشرية بعض الكتابات الأبجدية[5].

الشكل (13) جمل مرسوم بمنطقة أدرار أكاكوس

[1]- صالح عبد صادوق، المرجع السابق، ص36.

[2] - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص171.

[3] - Lhote (H.), Camps (G.) et Souville (G), op.cit, p 935.

[4] - Camps (G.), Peyron (M.) et Chaker (S.), op.cit, p2543.

[5] - صالح عبد صادوق، المرجع السابق، ص44.

المحاضرة (14): الحياة الاقتصادية بمنطقة الصحراء والأطلس الصحراوي

عرف الإنسان المغاربي القديم خلال العصر الحجري الحديث حياة الاستقرار على غرار جميع الشعوب القديمة أي على زراعة الأرض وتدجين الحيوانات، غير أنه لم يتخل على صيد الطرائد وقنص الأسماك نهائيا، وجمع الثمار البرية، وهذا ما سنفصله في الصفحات التالية:

أولا: الصيد: يمثل الصيد وجمع الثمار البرية أبسط الأنشطة الاقتصادية التي زاولها الإنسان خلال عصور ما قبل التاريخ سواء كان خلال العصر الحجري القديم أو حتى خلال العصر الحجري الحديث، بأبسط طرق الحياة التي عاشها، من أجل الحصول على غذائه من الموارد الطبيعية المتاحة، حيث يقوم بصيد الحيوانات البرية الكبيرة والصغيرة بالتعاون بين مجموعة من أفراد العشيرة، وبالاستعانة ببعض الحيوانات الكلاب، متنقلا من منطقة إلى أخرى حسب تتوفر الطرائد والثمار[1].

وتشير بعض الأدوات كالصنانير والخطاطيف العظمية والعاجية، وبقايا الأسماك وأصداف الرخويات التي عثر عليها في بقايا الأنهار والأودية والبحيرات إلى قنص الأسماك، فمثلا كان سكان موقع أمكني شمال غربي تامنغاست خلال الألف السادسة قبل الميلاد يقنصون بالوديان سمك الجري وسمك الفرخ بواسطة القفاف أو بإقامة سدود صغيرة وصيدها بالسلال[2]، كما عُثر على أدوات حجرية مصقولة وحجارة محززة كانت تُستعمل في صقل الأدوات العظمية وصناعة الحلي، كما عُثر على صنارة وقطعة خطاف صيد من مادة العظم تؤكد ممارسة السكان للصيد، ورؤوس سهام وفؤوس مصقولة وأدوات طحن[3]. كما كانوا يصطادون بعض الحيوانات البرية كالجواميس والخنازير البرية والغزلان والظباء بالسهام والرماح أو بالاستعانة بالكلاب والكمائن القريبة من منابع المياه، أو بواسطة حفر تغطى بالأغصان[4].

وكثيرا ما كانت عمليات الصيد تتم في جماعات وهذا ما يشير إليه احد المشاهد الصخرية بمحطة الخروبة حيث نرى مجموعة من الصيادين يطاردون حيوانا، وقد حرص الصيادون على تمثيل أسلحتهم كالأقواس والسهام والفؤوس والهراوات والرماح والدروع وغيرها، ومستعملا بعض الحيل كارتداء الأقنعة

---

[1] – عبد الله عطوي، الجغرافيا البشرية صراع الإنسان مع البيئة، دار النهضة العربية، بيروت، 1996، ص219.

[2]– رشدي جراية، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100–1000 ق.م)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة قسنطينة، 2007\2008، ص ص97–100.

[3]- عزيز طارق ساحد، التظاهرات الأولى للعصر الحجري الحديث في الجزائر، ضمن ملتقى المدينة والريف في الجزائر القديمة، تنسيق بختة مقرانطة، جامعة معسكر، 6\7 نوفمبر 2013، ص ص173–175.

[4]– رشدي جراية، المرجع السابق، ص ص97–100.

والتمويه واستعمال الكمائن، حيث نرى في محطة الريشة حيث نرى طرف الحيوان مشدود بعقدة تمثل كمين ما[1].

ثانيا: الزراعة: يعتبر ممارسة الزراعة المعيار الأهم الذي يثبت حياة الاستقرار والدخول في العصر الحجري الحديث الذي يطلق عليه الكثير من الباحثين بالثورة النيوليتية، وتعتبر زراعة القمح والشعير أولى المزروعات التي فلحها الإنسان، حيث عثر على أدلة بالصحراء، لكن منطقة شمال إفريقيا فلا يعرف الكثير عن زراعة الحبوب فيها ماعدا تلك التي عثر عليها في موقع كاف تحت الغار في المغرب الأقصى ويؤرخ بحوالي 6300 ق.م، وقد عثر على بعض المؤشرات التي تدل ممارسة الزراعة في موقعي الداموس وموقع خنقة سي محمد الطاهر بمنطقة الأوراس، ومن هذه الأدلة التي عثر عليها الكرات الحجرية الدائرية المثقوبة والصغيرة الحجم التي تستعمل كثقالة للعصا الحفارة، وهي معروفة لدى بعض القبائل الإفريقية الحالية كقبائل البوشمن والتي تستعمل بغرض تهيئة الأرض وتسويتها. كما عثر على منجل في مغارة البوليغون قرب مدينة وهران، مصنوع من عظم حيوان مطعم بقطع حجرية صغيرة، وعلى منجل آخر مماثل له بمشتى العربي[2].

أما في منطقة الصحراء عُثر في موقع المنية على حبات طلع من نبات الذرة المستأنسة تؤرخ ب 5500 ق.م حيث تم تدجينها والتحكم في زراعتها، وما يؤكد ذلك أنه يبلغ طولها 40 ميكرون وهي أطول من طلع النباتات البرية، كما عُثر في موقع أمكني على عمق 1.40 م على طلع لنبات الذرة أيضا، وهذا يشير إلى أن سكان الصحراء قد عرفوا الزراعة منذ أواخر الألف السابعة قبل الميلاد، وما يزيد في تأكيد هذا الرأي هو العثور على المطاحن وأدوات الرحى[3]، والكثير من الأواني الفخارية التي لا نستبعد استعمالها في تخزين البذور التي حصدوها، وتشير بعض الرسوم الصخرية منطقة الطاسيلي ناجر لأناس وهم يحصدون بالمناجل، ومشاهد أخرى تصوّر أشخاصا منحنين ويحملون أدوات مقوسة، ويصوّر موقع جبارين بالطاسيلي عملية درس الحبوب وحركة ضرب تلك الحبوب بقضبان خشبية، ووضع تلك المحاصيل في أواني فخارية لتخزينها[4].

ويعتبر الحديث عن الزراعة صعب وذلك لتعذر العثور على حبوب غبار اللقاح المتحجرة في مواقع شمال إفريقيا، كما أن هذه الأخيرة لم تحتفظ ببقايا الحبوب والثمار التي كان يزرعها السكان، كما أن

---

[1] – حدادو يوغرطة، المرجع السابق، ص ص88–89.

[2]– عزيز طارق ساحد، التظاهرات الأولى، ص ص177–179.

[3]– العقون أم الخير، العصر الحجري الحديث في الصحراء الوسطى بين المحلية والتأثير الخارجي، ضمن ملتقى المدينة والريف في الجزائر القديمة، تنسيق بختة مقرانطة، جامعة معسكر، 6\7 نوفمبر 2013، ص201.

[4] – وابل محمد، الزراعة في منطقة الصحراء الوسطى خلال العصر الحجري الحديث بين النفي والتأكيد، ضمن ملتقى المدينة والريف في الجزائر القديمة، تنسيق بختة مقرانطة، جامعة معسكر، 6\7 نوفمبر 2013، ص ص208–210.

الكثير من مشاهد الفن الصخري التي تشير للممارسة السكان للزراعة يلفها الغموض[1]. ويمكن تفسير سبب قلة البقايا النباتية الدالة على الزراعة إلى طبيعة الأرض الصحراوية الحمضية التي لم تسمح بالحفاظ الجيد على القرائن التي تثبت عملية الزراعة[2].

ثالثا: تدجين الحيوانات: يعتبر تدجين الحيوانات من أهم مؤشرات العصر الحجري الحديث، لكن لا يُعرف على وجه التحديد كيف تم التدجين في العالم القديم، متى بدأ التدجين في منطقة شمال إفريقيا والصحراء؟ وهل أصول الحيوانات المدجنة إذا ما كانت محلية أم أجنبية؟

يبدو أن البدايات الأولى للتدجين قد كانت خلال عمليات الصيد، بعد احتكاك الإنسان لزمن طويل مع الحيوانات التي اصطادها، وصار ملازما لها بعد الاحتفاظ بها لأيام وربما لأسابيع، وحدث على إثر ذلك نوع من التعايش ثم التآلف، وقام بالاحتفاظ بصغارها و بترويضها موفرا لها ظروف معيشة مناسبة لها فصارت بعض الحيوانات لا تستغني عليه، ومن هنا عرف الإنسان التدجين[3]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن التدجين اختلف تاريخه من منطقة إلى أخرى، ويبدو أنّ منطقة الشرق الأدنى كانت لها الأسبقية في ذلك للكثير من الحيوانات، كما أنّ هذه الأخيرة لم تُدجّن في وقت واحد فهناك حيوانات دُجّنت منذ الألف التاسعة قبل الميلاد مثل الماعز والأغنام والخنازير وهناك حيوانات دُجّنت خلال الألف الثامنة قبل الميلاد كالأبقار...

أما جذور التدجين في منطقتنا فيبدو أنّها تعود للعصر الحجري القديم المتأخّر حيث يُلاحظ أنّ الإيبرومغاربة والقفصيين قد حاولوا التدجين من خلال ما يعرف "بالصيد الانتقائي" لنوع الحيوان الذي يُعتبر خطوة مهمة في عملية تدجين الحيوان كالأروية من طرف الإيبرو مغاربة وهذا ما يشير إليه موقع تمارهات قرب بجاية، ونشير هنا إلى أنّ متوسط العمر منها يتراوح ما بين عامين وثلاث سنوات كانت تذبح للاستهلاك، ويلاحظ أنّ بقايا عظام الأروية بلغت نسبة51% خلال المرحلة الإيبرومغربية ونسبة 80% خلال المرحلة القفصية فضلا عن الضباء التي تتواجد بكثرة في المواقع القفصية فقد بلغت مثلا في موقع مجاز2 بسطيف نسبة 52.6% وهي نسبة مهمة[4]. ومن أهم الحيوانات المدجنة نذكر:

1- الكلاب: يتفق كل الباحثين أن الكلب هو أول حيوان دجنه الإنسان في المملكة الحيوانية منذ العصر الحجري القديم الأعلى أو العصر الحجري الوسيط كرفيق مساعد للصيادين خلال عمليات القبض على

---

[1] – محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص177.

[2] - العقون أم الخير، المرجع السابق، ص203.

[3]- صندوق ستي، الثروة الحيوانية والغطاء النباتي في الجزائر خلال العصور القديمة، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة وهران1، 2015-2016، ص190.

[4] - Camps (G.), Origines de la domestication en Afrique du Nord et au Sahara, pp364-365.

الطرائد[1]، ومن الممكن أن يكون فرضية ترويضه تتلخص في أن بعض الكلاب البرية الصغيرة كانت تتردد على أماكن سكن الصيادين لتقتات من بعض فضلاته، ونتج عن هذا التقارب أن تدجن الكلب[2]. أما بالنسبة لمنطقة المغرب القديم والصحراء فقد عرف الإنسان النيوليتي فيها تدجين الكلاب وهذا ما تُؤكّده العديد من بقاياه التي عُثر عليها في طبقات العصر الحجري الحديث، كما تعود بعض البقايا إلى فترات أقدم منها مغارة السماء المفتوحة بوهران وجبل الركنية والصخر الكبير بالجزائر العاصمة، أمّا بقاياه المتحجرة بالصحراء فإنّها نادرة ومنها موقع ايليك (Aelik) وموقع تيهودين، كما برزت صور الكلب المدجن على الفن الصخري لكنّ أغلبها يعود للفترة المتأخّرة [3]، وقد جُسّدت صوره في عدة نقوش صخرية لمنطقة الأطلس الصحراوي نذكر منها: عين مارشال وتيوت ومردوفة وخنقة الحجر وكذلك بالرصفة الحمراء من تحت حيث يبرز رجل مسلح بالقوس ويرمي سهامه على كباش يبدو أنّها في حالة وحشية، كما نرى في واد جرات مقاتلا مسلّحا بالسهام رفقة كلبه[4].

2- الغنم: تشير الكثير من مشاهد الفن الصخري إلى تدجين الأغنام والماعز في منطقة الصحراء خلال العصر الحجري الحديث ووجود حياة رعوية متطورة، فقد تم إحصاء ما يقارب ستين نقشا صخريا في منطقة الأطلس الصحراوي أغلبها يتمثل في الكبش من فصيلة (*Ovis longips*)[5]، كما تم العثور بمغارة كابيليتي بالأوراس على بقايا عظمية يقدر مجموعها 12050 قطعة تعود أغلبيتها إلى الأغنام والماعز تعود لمنتصف الألف الخامسة قبل الميلاد[6].

وتتزامن بدايات تدجين الحيوانات ومن ضمنها الخراف بالمناطق الساحلية والتلية مع ظهور الفخار ولم يكون تدجينها سابقا له، وبالتالي ومن خلال تحاليل البقايا الأثرية يُمكن القول أنّ دخول الأغنام منطقة التل المغاربي قد رافق دخول الفخار الكارديالي والمطبوع من أوروبا عبر إسبانيا[7] حيث عُثر في أقصى شمال غرب بلاد المغرب في مغارات أشكار قرب مدينة طنجة على بقايا الفخار الكارديالي وبقايا عظمية لخراف غير أنّها لم تُؤرّخ بتاريخ مُؤكّد، وممكن أن تكون مدجّنة ما بين 6000 ق.م و4500 ق.م قياسا على نظيرتها بإسبانيا[8]. أما لوت (Lhote)[9] فيرى أن تدجين الأغنام في منطقة الصحراء قد حدث ما بين 6000 و5000 ق.م، لكن دون أن يحدّد أصولها.

---

[1] - Belnet (F.), les premières domestications, 10, Historia, Juin 2013, p12.

[2] - صندوق ستي، المرجع السابق، ص ص191-192.

[3] - Espérandieu (G.), Coppé (G.), et Chaker (S.), « Chien », E.B, in *13*, Aix-en-Provence, Edisud, 1994, p1919.

[4] - Lhote (H.), les gravures rupestres de l'oued Djerat, p787.

[5] - عزيز طارق ساحد، التظاهرات الأولى، ص176.

[6] - صندوق ستي، المرجع السابق، ص ص196-197.

[7] - Camps (G.), Origines de la domestication en Afrique du Nord et au Sahara, p 372.

[8] - Muzzolini (A.), les premières moutons saharien d'après les figurations rupestres, p134.

[9] - Lhote (H), les gravures rupestres de l'atlas saharien, p225.

ولا يستبعد الباحث لخضر بن بوزيد[1] أن يكون تدجين الأغنام قد تم محليا، بما أنها قد كانت تعيش في الصحراء لكن في حالة برية منذ مرحلة الحضارة الإيبرو مغربية، وكانت من بين الحيوانات التي قام سكان الصحراء باصطيادها كالأيائل والغزلان، ولا سيما أن كانت جد ملائمة، في زمن بدأت محاولات الإنسان تجديد الحيوانات.

3- الماعز: تعددت الآراء حول أصول الماعز المدجن في منطقة شمال إفريقيا والصحراء، فيما يذهب البعض إلى أن أصولها تعود مناطق أجنبية، مستدلين في ذلك على غياب الأصل البري المحلي لها، إذ جُلبت إلى المنطقة من مكان آخر يُرجّح أن يكون من الشرق الأدنى عبر مصر[2]. وتذهب أغلبة الآراء إلى أن الموطن الأول لتدجين الماعز يعود لموقع غانج داره بجبال زاغروس، الذي يؤرخ بالألف الثامنة قبل الميلاد[3].

غير أن الأبحاث الأثرية الحديثة بشمال إفريقيا تشير إلى وجود ماعز محلي بالمنطقة، وهذا ما تؤكده البقايا العظمية التي عُثر عليها في موقع العالية بتونس، وحفرية موقلع قلدمان ببجاية، ومن أهم المواقع الأخرى نذكر موقع تن هناكتن جنوبي الطاسيلي المؤرخ بالألف السابعة قبل الميلاد، وموقع أبو تامسنا المؤرخ بالألف السادسة قبل الميلاد، وموقع هوافتيح بالألف الخامسة قبل الميلاد[4].

كما عثر بومل على بقايا عظمية لماعز بالصخر الكبير بالعاصمة منحه اسم كابرا بروموزا (*Capra promoza*) واعتبره السلف الأول الماعز المحلي المعروف بالماعز القبائلي الذي يعيش حاليا ويتميّز بشعره الطويل وبحجمه الصغير وقرونه الصغيرة والمنفرجة[5]، ويتراوح لونه ما بين البنّي الدّاكن واللون الأسود وله أذنان متدليتان وأنف ذو كسر بارز نوعا ما[6]، ولقد عُثر بكهف الضباع بباتنة على مجموعة من المستحثّات الحيوانية من بينها عرقوب قرن واحد لماعز تؤرخ بمرحلة الهولوسين (12000 ق.م إلى اليوم).[7]

كما برز الماعز في عدة مشاهد رعوية على الفن الصخري الصحراوي تراوحت تواريخها ما بين الألف السادسة والثالثة قبل الميلاد، أي خلال المرحلة الرعوية الوسطى، حينما تم إدخال الماعز على

---

[1]– لخضر بن بوزيد، حضارات الرعاة، ص ص318–319.

[2]– فيليبسون ديفيد، علم الآثار الأفريقي، تر: أسامة عبد الرحمن النور، منشورات ELGA، فاليتا، مالطا، 2002، ص 245.

[3]- الماعز في بلاد المغرب القديم بين الشواهد الأثرية والمصادر المادية، مجلة عصور الجديدة، مجلد10، عدد4، ديسمبر 2020، ص ص25–26.

[4] - ماجي ليندة، المرجع السابق، ص ص25–26.

[5] - Camps (G.), Origines de la domestication en Afrique du Nord et au Sahara, p370.

[6] - Espérandieu (G.) et Chaker (S.), « Chèvre », p1913.

[7] – عبد الوهاب بدر الدين وهيبة، المرجع السابق، ص76.

نطاق واسع بمنطقة الصحراء، وتزامن ذلك مع تحول المناخ إلى الجفاف، ومن أهم تلك المشاهد مشهد بموقع إن جارن بتادرارت والذ يصور قطيعا من الماعز والأغنام **(الشكل14)** ومشهد آخر بإهرن تاهيلاهي بالطاسيلي ناجر[1].

الشكل: (14) قطيع من الأغنام والماعز بإن جارن (تادرارت)

ماجي ليندة، المرجع السابق، ص34.

4- الأبقار: يمكن القول أن منطقة الصحراء الوسطى تعتبر مركزا هاما لتدجين الأبقار، ما بين 7500 ق.م و3700 ق.م في الأهقار والطاسيلي والأكاكوس كما تشير التحاليل التي أُجريت على فحم الخشب باستعمال الكربون المشع (C14)، هما تُوكد ذلك مشاهد الفن الصخري لا سيما لوحات مرحلة البقريات أو الرعاة، وكانت تغلب عليها صور الأبقار وهي ترعى وبتفاصيل دقيقة[2].

فقد تمّ العثور على عدّة بقايا عظمية لأبقار مدجّنة في مغارات تعود للعصر الحجري الحديث[3] حيث أشارت بعثة إيطالية قامت بأبحاث أثرية بفزان خلال عقد الستينات من القرن الماضي وعثرت على بقايا عظمية لبقريات مدجّنة من نوع الثور البدائي ويُؤرّخ تدجينها لـ 7430 ق.ح، ويعتقد أنّ تدجينها كان محليا، غير أنّ هذا التاريخ لا يلقى قبولا من طرف أغلب الباحثين، في حين يتّجه البعض إلى اعتبار العظام التي عُثر عليها في مغارة كابلتي (Capéletti) بمنطقة الأوراس أقدم الأبقار المدجّنة في المنطقة والتي تؤرخ بـ 6530 ق.م، وبعضها يُؤرّخ بـ 5100 ق.م، أما بدايات التدجين في الصحراء الوسطى فتعود إلى الألف السادسة قبل الميلاد والتي كانت أصولها محلية[4]. وتعتقد شايد ياسمينة أن الصحراء الوسطى

---

[1] - ماجي ليندة، المرجع السابق، ص ص25-26.

[2]- صندوق ستي، المرجع السابق، ص193.

[3] - Camps (G.). Origines de la domestication, p370.

[4] - Le Quellec (J-L.), L'adaptation aux variations climatiques, pp 114-115.

كانت مركز إشعاع حضاري هام، عرف تدجين الأبقار والاعتقاد فيها، ومنه انتشر شرقا في مصر والسودان[1].

ويُعتبر **الفن الصخري** من أحسن الشواهد المادية التي تشير للأبقار المدجّنة على الرغم من الغموض الذي يكتنف بعض المشاهد، منها مشاهد الثور خلال مرحلة الجاموس بخصوص حالته: وحشيا أم مدجّنا على الرغم من أنّه يحمل ما بين قرنيه صفات أو عقود وأنواط في رقبته، إذ يعتبر هنري لوت[2] أنّ هذه التزيينات غير كافية بأن تثبت بأنّها أبقار مدجّنة، فمن الممكن اعتبارها أنّها كانت في مرحلة قبيل التدجين ومحاولة القبض عليها فحسب، لأنّ الكثير من المشاهد تجمع بين الحيوانات البرية كوحيد القرن والفيل والنعامة والحيوانات المدجّنة أو التي في طريق التدجين مما يُصعّب من التمييز بينها، فمثلا صورة الثور المُمتطى أو الحامل للإنسان (le bœuf porteur) يُعبّر عن نمط عيش نصف الترحال أي تجمّع في الواقع بين نمطين معيشيين: نمط الصيد ونمط الرعي، بحيث لم يتمكّن هذا النمط الأخير من فرض وجوده بصورة نهائية والتوقّف عن عملية الصيد[3].

الشكل (15): مشهد حلب بقرة بالطاسيلي ناجر

وقد أبرزت بعض النقوش الصخرية ضروع البقر وهي تُحلب الأمر الذي يوحي بأنّ تدجين الأبقار كان مؤكدا، كما يشير من جهة أخرى وإلى اهتمام الإنسان بالحليب وبطريقة الحصول عليه وإدراكه لأهميتها في التغذية **(انظر الشكل15)**[4]، فقد أشار الباحثون لوجود إسطبلات حقيقية للأبقار في وديان الطاسيلي ناجر على مقربة أو أمام المخابئ، وكانت محصورة بجدران صغيرة لا يتجاوز علوها واحد متر[5].

---

[1] – ياسمينة شايد سعودي ونجيب فرحات، مقبرة البقريات لموقع منخور بالصحراء الوسطى، مجلة الدراسات الأثرية، عدد1، الجزائر،1992، 102.

[2] - Lhote (H.), vers D'autres Tassilis, p66.

[3] – أوعشي مصطفى، إسهام النقوش الصخرية بالجنوب المغربي في التعرف ببداية استئناس الحيوانات، مجلة المناهل، عدد 58، السنة الثالثة والعشرون، مارس 1988، ص 38.

[4] – المرجع نفسه، ص42.

[5] - Camps (G.). Origines de la domestication, p367.

5- الحصان: تكتنف مسألة حضور الحصان في منطقة شمال إفريقيا الكثير من الغموض، ما بين الأصول المحلية والأصول الأجنبية، فيذهب البعض أنه دخل عبر الهيكسوس الى مصر ومنه إلى شمال افريقيا والصحراء في حوالي 1500 ق.م[1]، لكن بالمقابل ترى الباحثة سعودي ياسمينة أنّ أصل الحصان في المغرب محلي وأنّ تطور استعمالاته كان محليا أيضا، إذ أننا بعدما نعثر عليه مصطادا من طرف إنسان العصور الحجرية، نراه في العصر الحجري الحديث مركوبا ثم مسروجا ثم جامحا يجرّ العربات الحربية[2].

ويذهب كامبس (Camps) إلى عدم وجود حصان حقيقي في بلاد المغرب القديم خلال القسم الأكبر من مرحلة الهولوسين[3]، وإذا افترضنا أنّ أصول استخدام العربة والحصان أجنبية، فإنّ السؤال الذي يُطرح هنا: من أين جلبا؟ وما هي الطرق التي دخل عبرها لمنطقة المغرب القديم والصحراء؟

من الممكن أن يكون دخول الحصان والعربة كان عبر أحد الطريقين الآتيين:

- **الطريق الأول:** انطلق من مصر واتّجه غربا نحو السيرت الكبرى، ثم ينعطف نحو الجنوب الغربي عبر فزان جنوب ليبيا ومنها لمنطقة الطاسيلي ناجر والأهقار.

- **الطريق الثاني:** كان نحو الشمال الغربي باتّجاه طرابلس وجنوب تونس، ويرى آخرون أنّ إدخال العربة والحصان المدجّن إلى المغرب القديم كان مباشرة من الشرق الأدنى القديم عن طريق البحر من طرف الوسطاء الفينيقيين، غير أنّ دور هؤلاء لا يعدو أن يكون مجرّد تأثير ثانوي ومتأخّر[4].

6- الجمل: تعددت الآراء كذلك حول أصول الجمل المدجن في منطقة في شمال إفريقيا والصحراء خاصة في ظل العثور على بقايا عظمية كثيرة تعود لمرحلة ما قبل التاريخ، وكذلك الكثير من الرسوم والنقوش الصخرية خاصة تلك التي تعرف بمرحلة الجمل ويبدو فيه هذا الحيوان مركوبا أو يقوده رجل، أو في مشاهد لمعارك[5]. غير أن الكثير من الباحثين يرون أن الجمال أدخلت إلى منطقة شمال إفريقيا خلال الفترة الميلادية وساهم الرومان خاصة خلال حكم الإمبراطور سبتيموس سيفيروس في إدخاله مع الجمالة السوريين لحماية المناطق الزراعية على تخوم الليمس، وبعد ذلك انتشر في الصحراء، ومع ذلك فقد ذكره صاحب كتاب حرب افريقية، بأن الجيش الروماني قد غنم مجموعة من الجمال من الجيش الملك

---

[1]- عزيز طارق ساحد، التظاهرات الأولى، ص176.

[2]- المرجع نفسه، ص12.

[3] - Camps (G) et autres, les chares préhistoriques du Sahara, archéologie et techniques d'attelages, Aix-en-Provence, 1982, p p 9-12.

[4]- بن علال رضا، العربات القتالية في المغرب القديم، ص6.

[5] - بن بوزيد لخضر، الجمل في ما قبل التاريخ الشمال الإفريقي، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع 6، جامعة بسكرة، جوان 2013، ص ص79-82.

النوميدي يوبا الأول سنة 46 ق.م[1].

ومن أبرز من قالوا بالأصول الأجنبية للجمل إميل فليكس غوتييه (E.F Gautier) [2] الذي يرى أنّه أُدخل إلى بلاد المغرب متأخّرا مستندا في طرحه هذا على جملة من المعطيات منها صمت المصادر الكلاسيكية على ذكر الجمل ضمن التركيبة الحيوانية لمنطقة للمغرب القديم بدءا بهيرودوت وديوديور الصقلي فساليست وبلين الأكبر، ومن هنا ذهب غوتييه إلى القول أنّ القرطاجيين ومن بعدهم الرومان قد جهلوا الجمل، وأنّ الأخيرين قد تعرّفوا عليه خلال حروبهم بالشرق ضد أنطوخيوس ومثريدات خلال القرن الأول قبل الميلاد، وظهر خلال الفترة الميلادية وبصورة نادرة وبقي قليلا طيلة القرون الثلاثة الأولى للاحتلال الروماني.

أمّا ستيفان قزال (S.Gsell)[3] فيذهب إلى أنّ الرومان هم من أدخل الجمل وقدّموه كهدية إلى الأفارقة في المناطق التلية والسهول العليا وتحت ضغط الرومان اندفع السكان المحليون أشباه البدو ذو البشرة البيضاء نحو الجنوب أين يعيش الزنوج البدو منذ عهد الأنطونيين، ومن هنا فقد أدخل الأفارقة الجمل معهم إلى أعماق الصحراء منذ القرنين الثاني والثالث الميلاديين، غير أنّ كامبس[4] ينفي أن يكون الأفارقة الجمّالة قد احتلّوا الصحراء ونشروا الجمل بمجيئهم المزعوم، لأنّ المتوسطيين المربين الخيول قد كانوا يُسيطرون على الصحراء قرونا عديدة قبل الفترة الميلادية.

ويبدو من خلال الفن الصخري أنّ الجمل أقدم بكثير من بداية الاحتلال الروماني، إذ يضع بعض الباحثين الحصان والجمل في نفس المرحلة على الأقل في منطقة الأهقار وأهنات حيث يحصي مونود (Monod)31 صورة للخيول مقابل 45 للجمال، وجاء تمثيل هذه الأخيرة بأسلوب جد طبيعي، ويربط البعض انتشار الجمل وتوسعه في المنطقة بالتغيّر المناخي ودخول الصحراء في الجفاف النهائي الذي حدث منذ 2500 ق.م.[5] فهو حيوان ملائم تماما لظروف الجفاف، فهو حيوان يتميّز بشدّة التحمّل وخاصّة في الرحلات الصحراوية الطويلة والقدرة على حمل الأثقال وانخفاض استهلاك المياه أثناءها، حيث أُستخدم الجمل في حمل الأثقال والأعمال الزراعية وهذا ما تثبته الأدلة الأثرية وخاصة المنحوتات البارزة خلال القرنين الثاني والثالث للميلاد[6].

---

[1]- صندوق ستي، المرجع السابق، ص55.

[2]– غوتييه أ,ف، المرجع السابق، ص ص 98– 101.

[3] - Demougeot (E.), op.cit, p. 242.

[4] – كامبس غابريال، المرجع السابق، ص 163.

[5] - Demougeot (E.). Op.cit, p 211.

[6] – ماتينغلي د.ج، منطقة طرابلس في العهد الروماني، تر: محمد الطاهر الجراري ومحمد عبد الهادي حيدر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2009، ص433.

المحاضرة (15): الحياة الاجتماعية في الصحراء والأطلس الصحراوي

يعتبر الفن الصخري أهم مصدر لدراسة مختلف مظاهر الحياة اليومية للإنسان الصحراوي خلال العصر الحجري الحديث، حيث تصور عدة أنشطة يقومون بها كالصيد وتربية بعض الحيوانات، والتنقل والحروب، ومشاهد عن الحياة الأسرية وأشكال اللباس والحلي وطريقة تصفيف الشعر، وهذا ما سنتناوله في الصفحات التالية:

1- مشاهد عن بعض الأعمال اليومية: كثيرا ما نشاهد صورا لرجال ونساء وحتى أطفال في مشاهد مختلفة، كاللعب والصيد، والتنقل على متن الأبقار، ومازالت هذه العادة موجودة لحد الآن لدى بعض القبائل في منطقة الساحل الإفريقي، ويبدو أن الرجال كانوا مكلفين بنصب الخيام أو بربط الأبقار وحلبها، كما نلاحظ في أحد المشاهد مجموعة من الأفراد رجال ونساء يتسامرون قرب موقد أو خيمة، وفي مشهد آخر نرى مجموعة أواني فخارية قد تكون لتخزين الحبوب البرية أو الحليب، ومشاهد للحلي والترحال، ونصب الخيم ذات الشكل الدائري وأخرى ذات شكل مستطيل، حيث كان السكان مستقرين أو شبه مستقرين يتنقلون حيث يتوفر الماء والكلأ، كما برزت صورا للرقص الجماعي في احتفالات عائلية في مناسبات معينة، قد تكون زواجا أو ختانا، وقد تكون لدوافع سحرية من أجل صيد ناجح أو محصول وفير كما تفعل بعض القبائل البدائية الحالية[1]. ونلاحظ في أحد المشاهد ا تهيئ الطعام، ومشهد آخر يصوّر رجلا وسط خمسة نساء وتتوسطهم امرأة وهي على وشك الولادة[2]، ونرى في رسم آخر امرأة جالسة وهي تطحن الحبوب داخل طاحونة حجرية وبجانبها امرأة ومن المشاهد الأخرى ممارسة الجماع بين الجنسين بجوار الأكواخ، وحمل الأمتعة على الرأس أو الكتف أو الثيران ذات البدن الكبير **(الشكل16)**[3].

2- المرأة مكانتها ودورها في المجتمع: كان حضور المرأة في الفن الصخري كبيرا لدرجة أن فاقت نسبة تواجدها نسبة الرجل، حيث برزت وهي تشتغل في الفلاحة والصيد أو قرب الموقد وهي تطبخ، وتنصب الخيام وتساعد الرجل في ذبح الأبقار، وقد تمتعت المرأة بمكانة هامة في المجتمع خاصة النساء الكبيرات في السن، فمن الممكن أن يكون المجتمع أموميا كما يرى الباحث لخضر بن بوزيد، حيث المرأة هي من تمتلك السيادة على العائلة والقبيلة لدى مجموعات إهرن، حيث تقوم المرأة عندهم بمعظم الأعمال، وتظهر بعض الصور الغريبة والمتمثلة في الركوع للمرأة ولا ندري إن كان ذلك يعبر عن تقدير واحترام كبيرين للمرأة أم عبادة وتقديس لها، كما ارتبطت المرأة بالخصوبة التي تجسدت في بعض المشاهد منها تصوير المرأة ببطون منتفخة للإشارة للحمل أو بالأحرى للخصوبة، كما ارتبطت بنزول المطر حيث تقوم النساء

---

[1] – بن بوزيد لخضر، حضارات الرعاة، ص ص329-333.

[2] – صالح عبد الصادوق، المرجع السابق، ص ص26-31.

[3] – حندوقة إبراهيم فرج، الرسوم الصخرية في إفريقيا، دراسة في المنهجية والتصنيف، القاهرة، 2010، ص103.

بطقوس استدرار المطر حيث يظهرن وهن يرقصن من أجل نزول المطر ومن أجل نماء قطعانهم في مشاهد كثيرة كموقع جبارين وصفار[1].

الشكل (16): نساء يمتطين بقرة

بن بوزيد لخضر، المرجع السابق، ص593.

3- الزينة والتزين: يمكن من خلال الفن الصخري يمكن أن تستخلص بعض مظاهر الزينة والتزين للرجال والنساء، فنلاحظ مثلا في موقع تان زوميتاك بالصحراء الوسطى امرأة واقفة يغطي الوشم كامل جسدها في شكل نقاط متتالية، وأحيانا في شكل خطوط منحنية، وفي شكل رسوم ملونة[2]، بالأحمر والأبيض، على الذراعين والجهة اليمنى من البطن، كما كان الرجال يتزينون وبأشكال مختلفة، منها في شكل خطوط تغطي كامل الجسد، ولا شك أن الأمر له علاقة بالسحر **(الشكل17)**.

كما نستشف من الفن الصخري عدة تسريحات للشعر لكلا الجنسين وأشكال الحلاقة، وهي لا تخلو أيضا من دلالات دينية وسحرية، منها تسريحة في شكل قبعة وهي منتشرة بكثرة لدي النساء وتكون أقل لدى الرجال، وتظهر النساء في منطقة إهرن بأشكال مختلفة، حيث تحرص النساء الظهور بمظهر أنيق، وهذا يعني أن مجتمع الرعاة في منطقة الصحراء خلال العصر الحجري الحديث قد بلغوا درجة هامة من

[1] - بن بوزيد لخضر، حضارات الرعاة، ص ص476-487.

[2] - حسيبة سفروان، واقعية صورة الأنثى في الرسم الصخري لمنطقة صفار وضواحيها (الطاسيلي ناجر-الصحراء الوسطى- الجزائر)، رسالة ماجستير في آثار ما قبل التاريخ، جامعة الجزائر، 2007\2008، ص63.

الرقي والتحضر، وفي مشهد آخر في منطقة جبارين صورة امرأة جميلة ذات حلاقة فريدة من نوعها، لها شعر طويل مسدول وأهدابه على الكتفين[1].

4- اللباس: تعددت أشكال اللباس الذي برز على الفن الصخري الصحراوي من منطقة إلى أخرى، ومن عصر إلى آخر، كما يبرز أحيانا بعض الرجال والنساء عراة تماما أو يكتفون بارتداء غطاء بسيط في شكل حزام يستر العورة من الأمام والخلف، وهذا ما نجده حاليا عند بعض القبائل الإفريقية الحالية[2]، وغالبا ما كان تكون ثيابهم مصنوعة من جلود الحيوانات، ففي موقع تان زوميتاك بالصحراء الوسطى نرى امرأة ذات ملامح زنجية في وضعية منحنية وتحمل في يدها قوسا وترتدي تنورة بسيطة، وتنتعل حذاء في قدميها، ويعتلي رأسها قلنسوة كروية الشكل وبيضاء اللون، كما يحمل بعض الرجال والنساء ذيلا من جلد على غرار بعض القبائل البدائية في إفريقيا خلال الاحتفالات، ويضعن حزاما على خصرهن، وفي بعض المشاهد برزت المرأة عارية تماما، وفي مرحلة تالية كانت القناصات ترتدين وزارات بسيطة دون زوائد، وارتداء الأحذية لم موجودا دائما في كل المشاهد، ونشاهد في موقع أين تينان بمطقة الطاسيلي ناجر امرأة ترتدي فستانا بلا كمين، كما عرفوا الفساتين الجرسية الشكل والتنورات الطويلة[3].

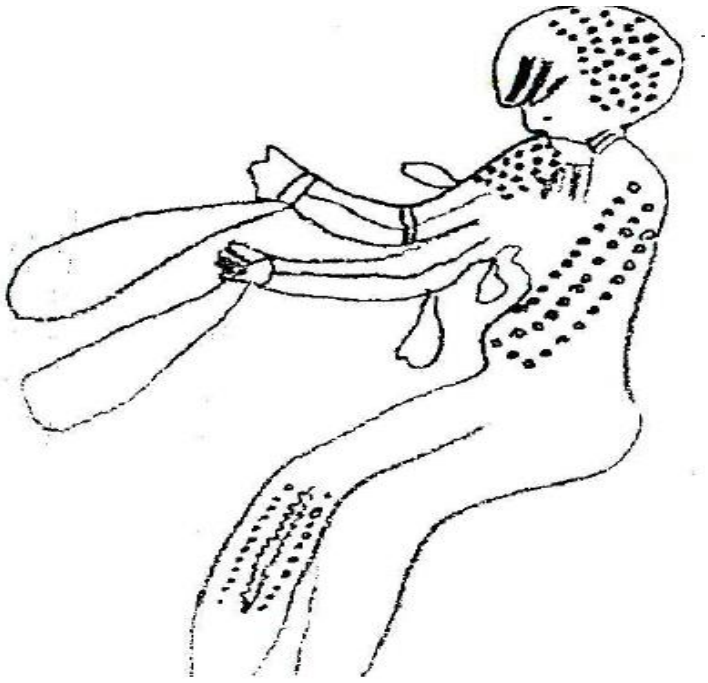

الشكل (17): امرأة تتزين بالوشم

حسيبة سفروان، المرجع السابق، ص65.

[1] - بن بوزيد لخضر، حضارات الرعاة، ص ص495-497.

[2] - حندوقة إبراهيم فرج، المرجع السابق، ص ص80-82.

[3] - حسيبة سفروان، المرجع السابق، ص ص70-76.

أما الزنوج فقد برزوا وهم عراة، ولم يكونوا يرتدون إلا قطعة جلدية لستر العورة، أما المجموعات الأخرى فقد لبسوا ثيابا متنوعة خاصة عند النساء، حيث كن يرتدين أزياء أنيقة تربط في أحد جهات الجسد، وقد يكون بألوان مزركشة، وقد يكون طويلا وأحيانا يكون قصيرا، ففي مجموعة إهرن فقد برز الرجال بتنورات قصيرة تغطي نصف الجسد فقط بينما يبقى الباقي عاريا، كما يرتدي البعض ما يشبه الجبة حاليا، أما سكان منطقة تين أنويين فيرتدون لباسا يصل إلى الركبة وأبيض اللون يربط في الوسط بواسطة حزام، ويضعون فوقه غطاءا أحمر يشبه البرنوس، كما يضع الرجال فوق رؤوسهم ريش النعام للدلالة على الشرف والمكانة الرفيعة، وقد برزت بعض النساء بلباس فضفاض مزركش الألوان يصل طوله حتى القدمين[1]. وألبسة أخرى قصيرة وبلا أكمام، وملابس أخرى يبدو أنها مخصصة للطقوس الدينية والشعائر الاحتفالية[2].

5- الحلي: لقد ارتدت المجتمعات الصحراوية خلال العصر الحجري الحديث الحلي وتميزت بالتنوع، وكانت مصنوعة من مواد مختلفة كالحجارة الملونة والعظام وبيض النعام، ومن أهمها القلائد والأساور والأنواط والحلقات التي كانت تُوضع على الرقبة، وحول اليدين، كما وجدت الأختام والخلاخل، كما استخدم الرعاة أدوات أخرى كالأقنعة والمجوهرات وأدوات من الجلود والألياف، وارتداها كلا الجنسين (رجال ونساء)، ومن غير المستبعد أن ارتداء الحلي كان لغايات أخرى دينية وسحرية ولجلب الحظ وطرد النحس والأرواح الشريرة[3].

[1] - بوزيد لخضر، حضارات الرعاة، ص ص498.

[2] - حندوقة إبراهيم فرج، المرجع السابق، ص86.

[3] - بوزيد لخضر، حضارات الرعاة، ص ص507-509.

الخاتمة

لقد حاولت في هذه المذكرة عرض أهم الحضارات الإنسانية التي عرفتها منطقة شمال إفريقيا والصحراء خلال عصور ما قبل التاريخ، والتي تعود أولى صناعاتها الحجرية إلى ما يزيد عن اثنين مليون سنة ونصف حسب آخر الدراسات والأبحاث الأثرية، وقد استخلصت بعض النتائج التي أوجزتها في النقاط التالية:

1- إن علم ما قبل التاريخ هو علم يحتاج لتضافر مجموعة من العلوم والتخصصات حتى يؤتي أكله، نذكر ومنها على المثال لا الحصر: الجيولوجيا، علم الآثار، علم التشريح، علم الحيوانات القديمة، علم النباتات القديمة، علم المناخ القديم، علن الأنثروبولوجيا...

2- يمكن القول أن منطقة الشمال الإفريقي قد عرفت تعميرا بشريا منذ بدايات عصر البلايستوسين وظهور الإنسان، وبالتالي لا نستبعد أن تكون هذه المنطقة هي **مهد البشرية** الأول وليس شرق إفريقيا كما يعتقد بعض العلماء، خاصة بعد الاكتشافات الأثرية الهامة التي عُثر عليها مؤخرا في موقع عين الحنش، وتزيد عن اثنين مليون سنة، ويبدو أن منطقتنا كذلك هي **مهد الإنسان العاقل**، وهذا ما تؤكده البقايا العظمية التي عُثر عليها في صيف 2017 في جبل إرحود جنوبي الرباط بالمغرب الأقصى وتزيد عن 300000 سنة.

3- وما يؤكد أصول الإنسان في منطقة شمال إفريقيا هو وجود بقايا عظمية للإنسان رفقة أدوات حجرية لكافة الحضارات ما عدا حضارة الحصى المشذبة، والتي لا شك أنّها لإنسان يماثل الإنسان الماهر (*Homo habilis*) على الرغم من عدم العثور على بقاياه العظمية، والتي يمكن العثور عليها في يوم ما مادامت الأبحاث الأثرية متواصلة.

4- تتميز منطقتنا بثرائها الحضاري العريق الضارب في القدم، وهذا ما تؤكد كثرة الحضارات وأصالتها، منها: الحضارة الألدوانية، الحضارة الأشولية، الحضارة الموستيرية، الحضارة العاترية، الحضارة الإيبرو مغربية (الوهرانية)، الحضارة القفصية، فضلا عن الحضارة النيوليتية، كما تحتوي على الآلاف من المواقع الأثرية وفي مختلف المناطق.

5- عرفت الحضارة الإيبرومغربية الإرهاصات الفنية الأولى للإنسان بمنطقة شمال إفريقيا، وتمثّل ذلك في صنع تماثيل بشرية وحيوانية تعتبر أقدم المظاهر الفنية بمنطقة شمال إفريقيا، وتطور الفن أكثر خلال الحضارة اللاحقة لها وهي الحضارة القفصية، وتجلّى ذلك في الرسم على قشور بيض النعام، وعلى بعض الصخور، لصور حيوانات وخطوط هندسية، وستتطور أكثر من خلال الفن الصخري خلال العصر الحجري الحديث.

6- لم تكن منطقة شمال إفريقيا متقوقعة على نفسها، بل كانت لها صلات حضارية تربطها بالضفة الشمالية للمتوسط على الأقل منذ العصر الحجري الحديث، والدليل على ذلك هو العثور على بعض الأواني الفخارية ذات النمط **الكارديالي** في المغرب الأقصى وغربي الجزائر ذو الأصول الإيبيرية خلال العصر الحجري الحديث، وكذلك الفخار ذو النمط **الجرسي** ذو الأصول الايبيرية في المغرب الأقصى خلال العصر المعدني، كما عُثر على رؤوس سهام من مادة **السبج** (أي الأوبسيديان) في السواحل الغربية التونسية وشرقي الجزائر وهي من الصخور البركانية، وهي صخور مستوردة من الجزر الإيطالية خاصة جزيرة صقلية، كما كان لمنطقة الصحراء علاقات مع إفريقيا جنوب الصحراء خاصة مع مالي والنيجر، وهذا لتشابه كلا المنطقتين في الكثير من المظاهر الحضارية،

7- يعتبر الفن الصخري مصدرا هاما لدراسة منطقة الصحراء والأطلس الصحراوي، في مختلف الميادين: الاقتصادية والاجتماعية والدينية، وحتى المناخية، منذ الألف الثامنة قبل الميلاد إلى غاية الفترة الميلادية؛ ففي المجال الاقتصادي نرى الكثير من المشاهد التي تشير إلى نشاط صيد الطرائد وقنص الأسماك للتغذي بها أو للتخلص منها لأنها شكلت تهديدا لحياته، وهذا بعدّة وسائل وأسلحة كالسهام والرماح والحجارة والهراوات... والاستعانة بالكلاب، سواء كان هؤلاء الصيادون يمتطون الخيول أو هم راجلون.

8- تشير بعض مشاهد الفن الصخري إلى استقرار الإنسان ودخوله العصر الحجري الحديث، والدليل على ذلك صور بعض الحيوانات كالأبقار والماعز وهي مربوطة من قرونها أو من أرجلها وهذا يؤكد على أنّها مدجّنة، ولم يكتف الإنسان بتناول لحومها فحسب، بل نراه يقوم بحلبها لتناول حليبها، غير أن نشاط الزراعة مازال يكتنفه الكثير من الغموض، إلا أن الإنسان الصحراوي يبدو أنه زرع بعض الحبوب.

9- كما يعتبر الفن الصخري شاهدا حيا على بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في منطقة الصحراء، إذ نرى مشاهد تعبر عن الاحتفالات، والزواج، والرياضة، وجلسات السمر بالقرب من خيمهم، وجلسات لمحاكمات أو فض النزاعات بين أفراد المجتمع، كما يمكن أن نستخلص بعض مظاهر الزينة والتزين الذي يتجلّى في الوشم وتلوين أجسامهم رجالا ونساء بمادة المغرة، وشكل لباسهم وحليهم وتسريحات شعورهم.

10- ونشير في الأخير إلى مكانة المرأة في المجتمع التي بلغت درجة القداسة على الأقل تجاه النساء الكبيرات في السن، وهذا ما تشير إليه بعض المشاهد التي تصور الركوع أمامهن، ويمكن أن نفسر ذلك بارتباط المرأة بالخصوبة، لدى مختلف مجتمعات ما قبل التاريخ خاصة خلال العصر الحجري الحديث الذي ربط فيه المجتمع المرأة بالأرض.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع باللغة العربية:

– براهيمي كلود، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، تر: محمد البشير شنيتي، بورويبة رشيد، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982.

– حاشي سليمان، في أصول الفنون البدائية بشمال إفريقيا، تر: إسماعيل أدير وآخرون، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ، الجزائر، 2010.

– حندوقة إبراهيم فرج، الرسوم الصخرية في إفريقيا، دراسة في المنهجية والتصنيف، القاهرة، 2010.

– جمال بدري، أضواء على الحضارة العاترية، دار هومة، الجزائر، 2010.

– سميحة إبراهيم مسعود، قراءة في حضارات الإنسان القديم، الهئية المصري العامة للكتاب، القاهرة، 2018.

– سوتن (ج.أ.غ)، افريقيا الشرقية (تاريخ إفريقيا العام)، المجلد الأول،جين أفريكن اليونسكو.

– صالح عبد صادوق، الفن الصخري في شمال إفريقيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990.

– عبد القادر دراجي وآخرون، جرد مواقع العصر الحجري القديم لمنطقة الساحل الغربي الجزائري، وزارة الثقافة، الجزائر، 2014.

– عبد الله عطوي، الجغرافيا البشرية صراع الإنسان مع البيئة، دار النهضة العربية، بيروت، 1996.

– فرانسيس أور، حضارات العصر الحجري القديم، ط2، ترجمة: سطان محيسن، مطابع ألف باء، دمشق، 1995.

– عزيز طارق ساحد، الجزائر عبر عصور ما قبل التاريخ، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2020.

– غوتييه ا. ف، ماضي شمال أفريقيا، تر: هاشم الحسيني، مؤسسة تاوالت الثقافية، المغرب، 2010.

– فيليبسون ديفيد، علم الآثار الأفريقي، تر: أسامة عبد الرحمن النور، منشورات ELGA، فاليتا، مالطا، 2002

– قباري محمد إسماعيل،أصول الأنثروبولوجيا العامة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1980.

– قراقب عبد الرزاق، مطيمط علي، حضارات ما قبل التاريخ (تونس والبلدان المغاربية)، ط2، منشورات أليف، تونس، 1993.

– قلالة نبيل وآخرون، تونس عبر التاريخ، العصور القديمة، الجزء الأول، مركز الدراسات والبحوث، تونس،2007.

– ماتينغلي د.ج، منطقة طرابلس في العهد الروماني، تر: محمد الطاهر الجراري ومحمد عبد الهادي حيدر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2009.

– محمد السيد غلاب ويسري الجوهري، الجغرافيا التاريخية عصر ما قبل التاريخ وفجره، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975.

– محمد سحنوني، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

– محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى، عين مليلة، 2003.

– كامبس غابريال، البربر ذاكرة وهوية، تر: عبد الرحيم حزل، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014.

– الناضوري رشيد، جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، الكتاب الأول، دار النهضة العربية، بيروت،1969.

المقالات باللغة العربية:

– أوعشي مصطفى، إسهام النقوش الصخرية بالجنوب المغربي في التعرف ببداية استئناس الحيوانات، مجلة المناهل، عدد 58، السنة الثالثة والعشرون، مارس 1988.

– بن بوزيد لخضر، الجمل في ما قبل التاريخ الشمال الإفريقي، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع 6، جامعة بسكرة، جوان 2013، ص ص79–82.

– بن علال رضا، العربات القتالية في المغرب القديم، حوليات المتحف الوطني للآثار القديمة، ع15، 2005.

– عبد الوهاب بدر الدين وهيبة، دراسة باليونتولوجية وأيكولوجية لمفردات ومزدوجات الأصابع لموقع كهف الضباع المحفوظة بالمتحف الوطني سيرتا، منشورات المتحف العمومي بخنشلة، 2014، ص ص 57–94.

– عباس سيد أحمد محمد علي، الجذور التاريخية لإشكالية المصطلح الأثاري حالة ما قبل التاريخ، مجلة أدوماتو، العدد الثاني، جويلية 2000. الرياض.

– عزيز طارق ساحد، التظاهرات الأولى للعصر الحجري الحديث في الجزائر، ضمن ملتقى المدينة والريف في الجزائر القديمة، تنسيق بختة مقرانطة، جامعة معسكر، 6\7 نوفمبر 2013.
– العقون أم الخير، العصر الحجري الحديث في الصحراء الوسطى بين المحلية والتأثير الخارجي، ضمن ملتقى المدينة والريف في الجزائر القديمة، تنسيق بختة مقرانطة، جامعة معسكر، 6\7 نوفمبر 2013.
– ماجي ليندا، الماعز في بلاد المغرب القديم بين الشواهد الأثرية والمصادر المادية، مجلة عصور الجديدة، مجلد10، عدد4، ديسمبر 2020.
– محمد رشيد الفيل، حضارات العصر الحجري القديم الأسفل، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد8، 1965.

– وابل محمد، الزراعة في منطقة الصحراء الوسطى خلال العصر الحجري الحديث بين النفي والتأكيد، ضمن ملتقى المدينة والريف في الجزائر القديمة، تنسيق بختة مقرانطة، جامعة معسكر، 6\7 نوفمبر 2013.
– ياسمينة شايد سعودي ونجيب فرحات، مقبرة البقريات لموقع منخور بالصحراء الوسطى، مجلة الدراسات الأثرية، عدد1، الجزائر،1992،

المراجع باللغة لفرنسية:

- Aumassip (G.), Préhistoire du Sahara et de ses abords, tome 1, Maisonneuve & Larose, Paris, 2004

- Aumassip (G.). *1. L'Atlanthrope, le plus vieil Algérien connu* In : *L'Algérie des premiers hommes* [en ligne]. Paris : Éditions de la Maison des sciences de l'homme, 2001 (généré le 06 mai 2019). Disponible sur Internet : <http://books.openedition.org/editionsmsh/6573>.
- Aumassip (G.), Préhistoire du Sahara et de ses abords, tome 1, Maisonneuve & Larose, Paris, 2004.

- Aumassip (G.),*3. Le devenir de l'Atlanthrope et la question d'un Paléolithique moyen* In : *L'Algérie des premiers hommes* [en ligne]. Paris : Éditions de la Maison des sciences de l'homme, 2001 (généré le 06 mai 2019). Disponible sur Internet : <http://books.openedition.org/editionsmsh/6575>.
Aumassip (G.), *4. L'homme de Mechta el-Arbi, dernier descendant de l'Atlanthrope ?* In : *L'Algérie des premiers hommes* [en ligne]. Paris : Éditions de la Maison des sciences de l'homme, 2001.

- Aumassip (G.), *4. L'homme de Mechta el-Arbi, dernier descendant de l'Atlanthrope ?* In: *L'Algérie des premiers hommes* [en ligne]. Paris : Éditions de la Maison des sciences de l'homme, 2001.
- Hachid (M.), les premiers berbères entre Méditerranée, Tassili et Nil, édisud, 2000.

المقالات باللغة الفرنسية:

- Belnet (F.), les premières domestications, 10, Historia, Juin 2013
- Camps (G.), « Ibéromaurusien », in *23 | Hiempsal – Icosium*, Aix-en-Provence, Edisud («Volumes », no 23) , 2000.

- Camps (G) et autres, les chares préhistoriques du Sahara, archéologie et techniques d'attelages , Aix-en-provence,1982 .

- Camps (G.). Origines de la domestication en Afrique du Nord et au Sahara. In: RFHO-M, tome 65, n°240, 3e trimestre 1978. Pp363-376.
- Espérandieu (G.), Coppé (G.), et Chaker (S.), « Chien », E.B, in *13*, Aix-en-Provence, Edisud, 1994
- Demougeot (E.). Le chameau et l'Afrique du Nord romaine. In: AESC, 15e année, N. 2, 1960.pp203- 236.
- Grebenart (D.), « Capsien », in Gabriel Camps (dir.), *12 | Capsa – Cheval*, Aix-en-Provence, Edisud (« Volumes », no 12) , 1993.

- Le Quellec (J-L.). l'adaptation aux variations climatiques survenues au Sahara central durant Holocène, pp 109-129.

- Lhote (H.) , Camps (G.) et Souville G.) , « Art rupestre », in *6 | Antilopes – Arzuges*, Aix-en-Provence, Edisud («Volumes », no 6) , 1989.

- Mulot (R.), L'équipe du Pr Hublin a découvert "le premier de notre espèce" https://www.sciencesetavenir.fr/archeo-paleo/le-premier-des-homo-sapiens-a-300-000-ans.
- Muzzolini (A.). les premières moutons saharien d'après les figurations rupestres, Archéozoologie, vol 12 1987, pp129-148.

- Olivier DUTOUR, l'homme de Mechta Afalou au Maghreb et au Sahara aspects paléoanthropologiques et paléocologiques , l'homme maghrébin et son environnment depuis 100000 ans, C.N.R.P.A.H, Alger, 2001.

- Sahnouni (M.), le bassin sétifien, DA, préhistoire d'Algérie, Avril 2003.

الأطروحات:

– بحرة نادية، محاولة دراسة تحليلية للفن الصخري بمنطقة أدمر، رسالة ماجستير في ما قبل التاريخ، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2005–2006.

– بن بوزيد لخضر، حضارة الرعاة في النيوليتي بالطاسيلي والهوقار من خلال الفن الصخري (6000 ق.م–1000ق.م)، رسالة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر2، 2015\2016.

– بن بوزيد لخضر، الطاسيلي ناجر في ما قبل التاريخ: المعتقدات والفن الصخري، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر.

– حدادو يوغرطة، أهم مشاهد الحيوانات الطبيعية الكبرى في محطات النقوش الصخرية للأطلس الصحراوي، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، 2005–2006.

– حدوش عبدالقادر، الآهقار المركزي والجنوبي في فجر التاريخ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في آثار ماقبل التاريخ، جامعة الجزائر، 2008\2009.

– حسيبة سفروان، واقعية صورة الأنثى في الرسم الصخري لمنطقة صفار وضواحيها (الطاسيلي ناجر– الصحراء الوسطى– الجزائر)، رسالة ماجستير في آثار ما قبل التاريخ، جامعة الجزائر، 2007\2008.
– رشدي جراية، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100–1000 ق.م)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة قسنطينة، 2007\2008.
– صندوق ستي، الثروة الحيوانية والغطاء النباتي في الجزائر خلال العصور القديمة، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة وهران1، 2015–2016.
– مروان رابحي، الصناعة الحجرية الألدوانية لموقع عين الحنش، رسالة ماجستير في آثار ما قبل التاريخ، 2004\2005.